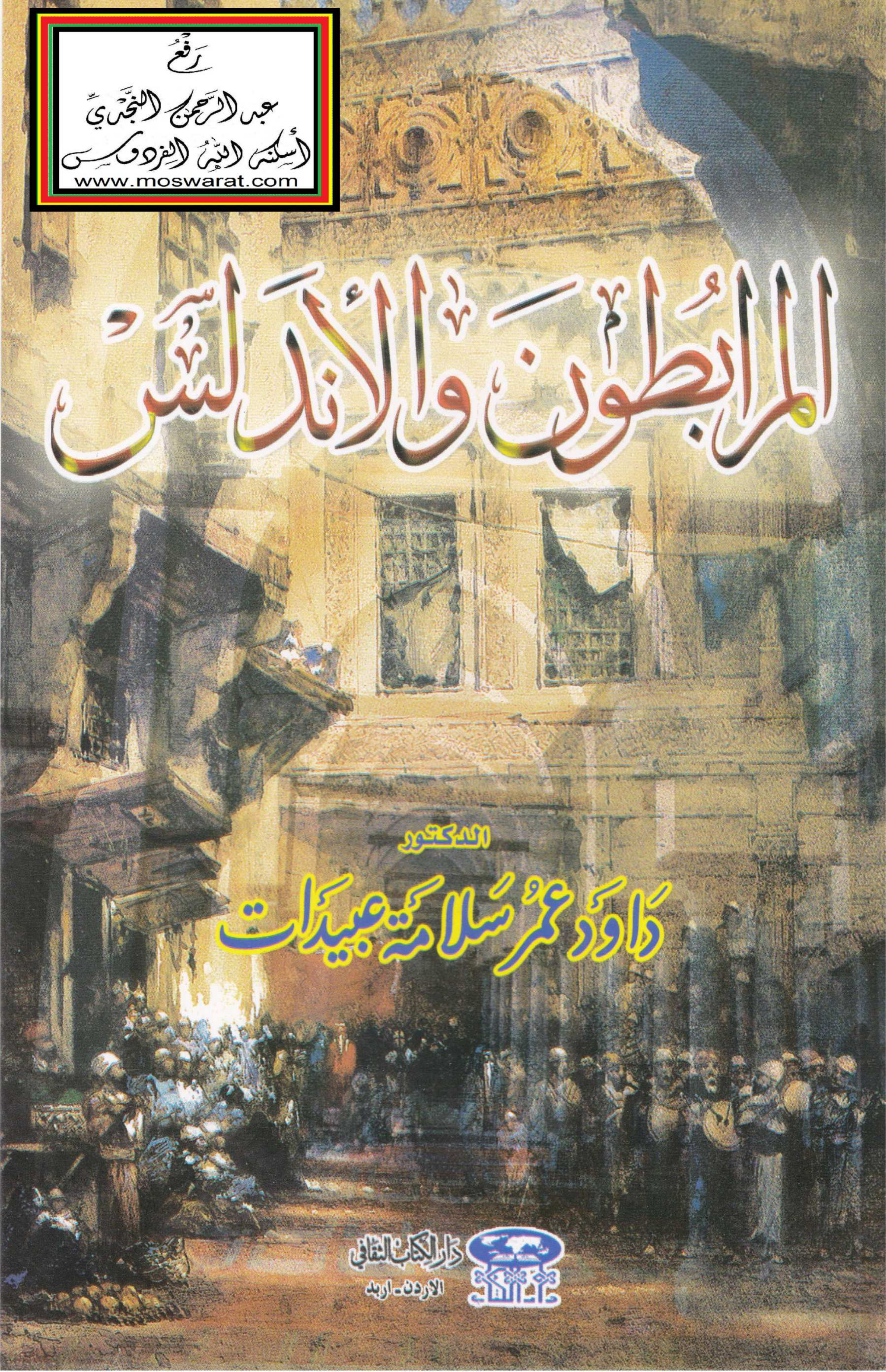

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
المرابطون والأندلس
الدكتور
داود عمر سلامة عبيدات
دار الكتاب الثقافي
الاردن - اربد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المرابطون والأندلس



١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

الطبعة الأولى

دار الكتاب الثقافي

للطباعة والنشر والتوزيع

الأردن / إربد

شارع إيدون إشارة الإسكان

تلفون

(٧٢٦١٦١٦ - ٢ - ٠٠٩٦٢)

فاكس

(٧٢٥٠٣٤٧-٢-٠٠٩٦٢)

ص.ب (٦٢٠٣٤٧-٢١١)

Dar Al-Ketab

PUBLISHERS

Irbid - Jordan

Tel:

(00962-2-7261616)

Fax:

(00962-2-7250347)

P. O. Box: (211-620347)

E-mail:

dar_ alkitab1@hotmail.Com



دار المتنبي للنشر والتوزيع

الأردن – إربد – تلفاكس: (٧٢٦١٦١٦)

المرابطـون والأندلـس

تأليف الدكتور
داود عمر سلامة عبيدات

دار الكتاب الثقافي .
الأردن - إربد . .

الإهداء

إلى أمي،،،،

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث داود الجروان

كلمة شكر

أقدّم جزيل الشكر لأستاذي الدكتور إبراهيم بيضون، الذي أشرف على تحضير هذه الرسالة، وشجعني نحو دراسة تراثنا القديم، ونمّى فيّ روح الصبر والاستمرار، ولم يضن عليّ بتوجيه أو إرشاد، وإلى الأستاذ الدكتور أفرام بعلبكي الذي بثّ فيّ روح البحث والدقة العلمية، فلهما مني كل امتنان وعرفان.

والله ولي التوفيق

الباحث داود الجروان



فهرست المحتويات



المقدمة

هذه حقبة من تاريخ الأندلس، في أحلك فتراته، مرّت بالمسلمين في تلك البلاد، أحببت أن أقوم بدراستها والبحث فيها، لعليّ أجلو بعض الغموض عن جوانبها، لأقدم شيئاً متواضعاً إلى قراء التاريخ، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، فهي حقيقة بالدرس والعناية والتوضيح ليس من موقع الأندلس المكاني الأوروبي ذي التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط فحسب، ولكن أيضاً كنهاية الانتشار نحو الشمال للدولة المرابطية، رائدة تجربة الوحدة في ربوعها مرة ثانية، وحاملة لواء الجهاد في فترة ما يسمى بالحروب الصليبية، فضلاً عن العلاقة التاريخية الموغلة قدم الفينيقيين، تجارياً، وثقافياً خلال العصور القديمة[1]. ليظهر لنا أهمية الدور الذي مثله هذا الصقع في لحظة اهتزاز صدّعت كيانه، وأودت به إلى التجزئة، والصراع الإقليمي بين أمراء الطوائف، إلى جانب ضمور الروح العسكرية الأندلسية على أيديهم، وظهور ما يسمى بحرب الاسترداد، يبشر بها نصارى الشمال الأسباني، أثر انهيار الدولة، مع غياب الأسرة الأموية عن الأندلس، وفقدان التلاحم البشري في مجتمعها، الذي كان مزيجاً متعدد الهويات العرقية، ومتناقض الانتماءات، سياسياً واجتماعياً، واقتصادياً، وقف وراء انهيار النظام الأموي، بعد أن استبد به نظام الحجاب العامريين، الذي أدى إلى التغيير الهيكلي للمؤسسة العسكرية، وكان مقدمة للفشل السياسي الذي تعرّض له، بوجود خليفة ضعيف الإرادة، قليل الخبرة، حتى تنبهت النفوس إلى الفرقة، وأشرأبت الأعناق، التي تنادي بالانفصال إلى البروز، وسادت الفوضى في العاصمة قرطبة، ومنها انتشرت إلى مختلف المقاطعات، وأخفقت كل المحاولات إن وجدت، للبقاء على الخلافة، رمزاً للوحدة قائمة، وتتحول البلاد بعد التشرذم الذي انتابها إلى دويلات تتزعمها فئة المغامرين من رجال الجيش والفقهاء، وانكفأت إلى كيانات سياسية متعثرة، لكل أمير أو حاكم، له إدارة وجيش، وحياة ثقافية شبه مستقلة، تعصف بها سياسات مكشوفة، عبر علاقات قائمة على التشنج

---

(١) أشرت في هامش الرسالة في المكان المناسب عن العلاقات الأندلسية السحيقة، مع الفينيقيين، تاريخاً اقتصادياً وثقافياً.

والريبة، وإنشاء المحاور المتضادة، خلال سجالات الحرب شبه الدائمة، في وقت لم يكن فيه النصارى بحاجة إلى مزيد من الجهد لمواجهة ملوك الطوائف، بعد أن حالفتهم الظـروف- انتهاء الحرب الأهلية بين أبناء فرديناند الأول، وغلبة الفونسـو السـادس كوريـث وحيـد للعرش، واحتلاله طليطلة- وكذلك التطورات السريعة على جبهة خصومـهم المتهدمـة، في تعزيز مواقعهم، وتحقيق مكاسب متلاحقة، كـأبرز مؤشـر لنهايـة الطوائـف السياسـي والعسكري، وقوعهم بين أعداء الشمال، وطمع الجنوب، طالما رغب الزعماء أن يفزعوا، اما إلى الشمال، أو يتطلعوا بحـذر إلى الجنـوب لإنقـاذهم، وهكـذا وقعـوا فريسـة لقـوى خارجية أسبانية كانت أم مغربية منقذة، إن جازت المعادلة.

لذلك اخترت هذا الموضوع، في فترة وقعت فيها الأندلس بـين قوتـين ضـاغطتين، ينحصر بينهما شبح لرؤساء نسميهم أمراء الطوائف أولاهما القوة النصرانية في الشمال، ويتزعمها الفونسو السـادس، وبطـل أول مـا يسـمى بحرب الاسـترداد، ولم تكـن هـذه السياسة خفية أو مكتومة للفئات الموجـودة آنـذاك، وأمـا القـوى الأخـرى في الجنـوب، فتتمثل بدولة المرابطين الفتية، التي تأسست في بدايتها على يد فقيه، يتفجر حماسه وغـيره، لا تقل عن خصومه، لا عادة القوة إلى جسم الدولة الإسلامية في الأندلـس، وقـد راهـن ابن تاشفين الزعيم العسكري لتلك الدولة، على إعادة الدم القوي إلى الكيان المتهدم، إلى ما كان عليه، وهو الذي بسط سلطانه على شمال أفريقية من تونس شرقاً إلى المحيط غرباً، ولم يكن أمامـه خيـار سـوى التصـدي لالفونسـو الـذي عـانى منـه كثـيراً مـن التحـدي والاستفزاز، فركب البحر إلى بلد الجهاد. ومن هـذا المنظـور خـاض يوسـف مـن موقـع التحدي معركته ضد القشتاليين، ومعه الرأي العام الأندلسي.

ويبدو أن هذه الحقبة لم يطرقها أحـد مـن البـاحثين، بشـكل متسلسـل جـامع، ولم يتعرض أحد للعلاقات المغربيـة الأندلسـية في العصـور الوسيطة علـى شـكل موضـوع متكامل، وإنما لمحات في ثنايا مصادر، ومراجع متناثرة كتبت عن تـاريخ الأندلـس قديمـها وحديثها، ولذلك حاولت أن أقوم بهذا الجزء المتواضع، عن تلـك الفـترة المأسـاوية مـن تاريخ العرب في ذلك الجزء القصي، وجهدت أن يكون طرحـي للظواهـر التاريخيـة فيـه الجدية، والتحليل ما أمكن، واستطعت أن أطلع علـى بعـض المخطوطـات بتلـك الفـترة لدى جامعة محمد الخامس في الرباط، أبان إقامتي هناك بين عامي ١٩٧٤- ١٩٧٨.

أما خطة البحث، فقد تضمنت أربعة فصول رئيسة، تتفرع كل منها إلى عدة عناوين فرعية، تقتضيها الدراسة.

ففي الفصل الأول: بعد أن قدمت تمهيداً يتناسب ووضع المغرب الجغرافي، أوليت اهتماماً خاصاً لبحث العلاقات الأندلسية المغربية، بدءاً بموسى بن نصير إلى نهاية الدولة الأموية من خلال ما أسميته (العلاقات التاريخية بين الأندلس والمغرب)، وتبعثرها إلى كيانات سياسية مستقلة.

وتضمن الفصل الثاني: (المرابطون ودخولهم الأندلس) اللمتونيين دعوة ودولة، وتطرّق البحث إلى أوضاع المسلمين العامة، وإلى الخلافات التي دارت بينهم، حتى عبور المرابطين إلى الأندلس، واصطدامهم مع الأسبان في معركة الزلاقة، وانتهاء بمعركة لبيط.

وعالج الفصل الثالث: علاقة المرابطين بملوك الطوائف، والدور التصفوي الذي انتظمهم جميعاً، وموقف الشعب الأندلسي، الذي أجهز بدوره على ملوكه، منحازاً إلى أبطال الزلاقة.

وأخيراً الفصل الرابع: الذي بحث في نظام الحكم عند المرابطين ابتداءً بالتقسيمات الإدارية، ومروراً بالنظام العسكري إلى النظام المالي الذي عايش الدولة منذ نشأتها حتى نهايتها، ثم تطرّق لمعالجة (الحالة الفكرية) عبر دراسة لفئة من الكتاب والمؤرخين، والمحدثين والفقهاء، والتعريف بأشهر علماء ذلك العهد.

وتوخيت في هذا التصميم أن أبيّن واقع الأندلس من النواحي الاجتماعية والسياسية والعسكرية، مدة تشكل دولة المرابطين، وذات التطلعات العسكرية، على الحدود الجنوبية.

لقد كانت هذه الظروف مسوغاً لاستثمار القوة النامية، التي دأب المرابطون على تشكيلها عبر السنين، لتتسق مع الأحداث المحيطة، وتتوافق مع منطقها، ونتيجة للتجزؤ الذي رج الكيان الأندلسي، دفع بالسكان إلى ركون المغامرة (إن جاز ذلك) وحملوا همومهم إلى الجنوب، طلباً للخلاص، فكان قادة المرابطين خير من يمثل هذا الهاجس الملح، ومن ثم خلف من بعدهم خلف، دون المستوى القيادي، العسكري والسياسي، عاش على كنف الهدوء والاسترخاء، دون حسم للتجاوزات وأسبابها، فكان شاهداً على

مرحلة الشوط التراجعي للدولة، وتصفية أجهزتها السياسية والعسكرية مخلفة بصماتها في شتى الميادين الإدارية منها وأساليب الحكم، والتي ما تزال ماثلة أمام الباحثين.

أما مصادر البحث فإنه لم يكن بالمستطاع الحصول على مصدر شمولي اعتمد عليه، فقد استفدت من جميع المصادر التي أطلعت عليها، وتشير إلى موقف الأندلسيين من دولة المرابطين، حيث انتهت في آخر المطاف، إلى صورة تبدو شبه وافية، عن هذه الدراسة، ومن أبرز مصادرها كتاب 'التبيان' مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة، و'المعجب' لعبد الواحد المراكسي، و'الحلل الموشية' لمؤرخ أندلسي مجهول في القرن الثامن الهجري، و'الأنيس المطرب بروض القرطاس' لابن أبي زرع الفاسي، و'أخبار مجموعة' لمؤلف مجهول، و'البيان المغرب' لابن عذاري المراكشي، و'الكامل' لابن الأثير، و'تاريخ العبر' لابن خلدون، و'الروض المعطار' للحميري، و'نفح الطيب' للمقّري، و'الإحاطة' و'أعمال الأعلام' لابن الخطيب، و'الصلة لابن بشكوال، و'الاستقصا' للناصري، وغيرها، فضلاً عن مصادر كثيرة تطرّقت إلى تاريخ المغرب والأندلس عبر بحوثها، وكنت قد أطلعت عليها، بقدر ما تيسّر لي الظروف.

وعلى الرغم من أن هذه المصادر كانت الأرض الصلبة التي استندت عليها، فلا يمكنني إلا أن أعترف ببعض الدراسات الحديثة، التي كانت المؤشر التمهيدي للبحث، وأخص بالذكر: دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، عصر المرابطين والموحدين لعبد الله عنان، وفتح العرب للمغرب، وفجر الأندلس لحسين مؤنس، والدولة الموحدية بالمغرب لعبد الله علام، وتاريخ مدينة قرطبة، وفتح المرية لعبد العزيز سالم، على سبيل المثال لا الحصر. وقد أطلعت عليها لدى مكتبات الجامعات الأردنية، ومعاهدها والمدارس الثانوية فيها، حيث لم أترك سبيلاً لمزيد من الإطلاع، والفائدة، إلا حاولت سلوكه، فاستطعت أن أطلع، وحسب ما تيسر لي، من كل من كتب حديثاً عن الأندلس سواء في اللغتين العربية والأجنبية، والمترجمة، وأخص بالذكر (History of the Moslems In Spain) لمؤلفه الهولندي، الذي أسهب بكتابه عن دول الطوائف والمرابطين وكتاب (Islam In History) لمؤلفه (Lemis) وغيرهم، وفيما عدا ذلك، فقد بدا معظمها متوكئاً على كتاب المؤرخ الهولندي.

كما أخص أيضاً، البحوث القيمة، التي استفدت منها كثيراً، مثل كتب المؤرخ الألماني الشهير يوسف أشباخ (تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) وهو جزءان، وكتب ليفي بروفنسال (العرب في الأندلس) وغيرهما، وكتاب سيديو (تاريخ العرب العام)، وجب (علم التاريخ)، وغوستاف لوبون (حضارة العرب)، وأوليري (الفكر العربي والكتابة في التاريخ)، وقد سمحت لي الظروف أثناء إقامتي بالمغرب، إن زرت أسبانيا، وقرطبة، وإشبيلية وطريف (طريفة) ومالقة، وغرناطة، ووقفت على تلك الربوع ساعات طويلة، وقفة المتأمل الناظر الفاحص، وانعطفت جهة جبل طارق، وصعدت مرتفعاته، ووجمت دقيقة صمت على شاطئه المقابل للمغرب، وبعدئذ جزت المضيق عائداً إلى سبتة مروراً بطنجة.

وكم يسرني أن أزجي شكري وتقديري للأستاذ المشرف إبراهيم بيضون الذي أكرمني بوقته وجهده في إبداء توجيهاته وملاحظاته التي لن أنساها، وهو الذي أخذ بيدي بصبر وأناة من نقطة البدء، حتى صرت إلى ما أنا عليه الآن، ولن أنسى سعة صدره وبشاشته، وكيف كان يستقبلني في أية ساعة من نهار أو ليل، على الرغم من الفترات الحرجة التي كانت تمر بيروت بها آنذاك، فلم يدخر وسعاً في إرشادي لمقابلته في أوقات محددة، وحسب ما تستدعيه الظروف، فكان لي خير معلم، ومشرفي على الرسالة.

ولا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى الدكتور إفرام بعلبكي أستاذاً، زودني بعلمه، وأعجبني بحديثة ودقته العلمية، وآرائه القيمة وتوجيهاته السديدة.

ولا يفوتني إلا أن أسوق كلمة شكر لكل من ساعدني على مواصلة بحثي هذا، مثل القائمين على مكتبات كل من جامعة اليرموك والأردنية، وأمناء المكتبات في معاهد الأردن ومدارسها الثانوية، وأخص بالذكر، أمين مكتبة مدرسة الصباح الثانوية في اربد، حيث زودني بمصادر انتفعت بها كثيراً، وبخاصة من مكتبته الشخصية، كما ويسرني أن أقدّم شكري للدكتور يوسف غوانمة، الأستاذ المحاضر في جامعة اليرموك الأردنية، حيث تبرّع شاكراً بتزويدي ببعض المراجع القيمة التي تحتويها مكتبته الخاصة، وإلى الدكتور الصديق محمد الشبول، المحاضر بجامعة اليرموك، الذي فتح أمام هذا البحث مغاليق مكتبته الحافلة بصنوف المصادر والمراجع القيمة.



الفصل الأول

الأندلس قبل المرابطين

تمهيد:

المغرب هو البلد المقابل للمشرق، وظل يفتقر إلى الاستقرار الجغرافي، يضيق حيناً ويتسع أحياناً، وربما مندمجاً مع أقاليم أخرى، مما حال دون استقرار حدوده، لدى الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، واختلاف معالمه بين وقت وآخر، فمنهم من جعله يمتد من الإسكندرية شرقاً إلى المحيط الأطلسي، عبر مضيق جبل طارق ليشمل بلاد الأندلس غرباً[1]، ويرى آخرون أن حدوده تشمل بلاد شمال أفريقية، وجميع الأجزاء الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط[2]، ويعتبر بعضهم أن مصر جزء من بلاد المغرب، وكونها القاعدة العسكرية التي انطلق منها الفاتحون المسلمون نحو الغرب في الحقبة الإسلامية الأولى[3]، أما اليوم فالمغرب يشمل بلاد تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

العلاقة بين الأندلس والمغرب:

بدأت علاقات هذا الإقليم بالمغرب منذ وقت مبكر[4]، وتطورت منذ مقدّم موسى ابن نصير على رأس حملة عسكرية[5]، مروراً بالمغرب، وانتهاء إلى طنجة وسبتة عبر نهر

---

(١) المراكشي: المعجب، ص ١١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٥-٦.

(٢) مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (لا. ت).

(٣) المرجع نفسه (العبادي).

(٤) ويذكر بعض المؤرخين أن الصلة بين المغرب والأندلس، والتي حول مضيق جبل طارق، كانت منذ العصور القديمة، حينما أسس الفينيقيون دولتهم البحرية على الشريط الساحلي الشرقي لحوض البحر المتوسط، فأقاموا مراكز لهم جنوب الأندلس مثل: مالحة (مالقة) وجادير (قادس) أما في المغرب المقابلة، فقد أنشأ الفينيقيون مستعمرات مماثلة مثل: أوسادير (مليلية)، ومدينة لكسوس (Lixus) العرائش الحالية (Larache) وطنجة (Tanger) وكانت هذه العلاقات على جانبي المضيق في عهد السيطرة الفينيقية تاريخاً اقتصادياً وثقافياً، ولم تكن تاريخاً سياسياً.
غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص: ٢٦٣.
ابن عذاري: البيان، ج١، ص: ٣٩-٤٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١.
المقّري: النفح، ج١، ص: ٢٤٩- ٢٥٤.

(٥) الحلل الموشية: ص: ٤، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

درعة على المحيط الأطلسي. وفي خضم تلك الحروب مات غيطشة ملك أسبانية أو قتل وانتخب رذريق خلفاً له[1]. وفي هذه الأثناء كان العرب على الضفة المقابلة في طنجة بقيادة طارق بن زياد، يتابعون الأحداث عن كثب، ويدققون في كل ما يجري داخل أسبانية، وعندما عرض يوليان مساعدته على موسى، مع بيان حجم الخدمات التي يمكن أن يقدمها، انتدب ابن نصير نائبه على طنجة لمهمة فتح الأندلس[2]، وبعد أن استكملت العمليات الاستطلاعية التي قام بها طريف بن مالك، اقتحم طارق البحر إلى أسبانية يرافقه سبعة آلاف جندي غالبيتهم من البربر[3]، عن طريق الجبل (جبل طارق)[4]، ودارت المعارك بين طاق، وبين رذريق (لذريق) في سهل متسع قرب وادي لكّة أو بكّة، فانتصر المسلمون، وابتدأ احتلال المدن الأسبانية، واحدة تلوى الأخرى، دون كبير مشقة على يد طارق، ومغيث الرومي، وموسى بن نصير[5].

---

(١) المصدر نفسه، فسادت الفوضى واضطرب حبل الأمن في البلاد حتى اختار الجند رذريق ملكاً عليهم، وكانت سيرة هذا الملك من السوء والقسوة حيث كرهه كثير من اتباعه، ومنهم بليان حاكم سبتة، فوقعت جفوة بينهما بسبب ابنة الأخير.
انظر أخبار مجموعة، ص: ٥، طبع في مدينة مجريط، ربد نير ١٨٦٧ فأقسم بليان أنه سينتقم لشرفه، فكاتب ابن نصير، وأعلن له طاعته ودعاه لفتح الأندلس، وزيّن له سهولة الفتح، فاستشار موسى الخليفة الوليد بن عبد الملك، فوافقه على ذلك وطلب منه أن يختبرها أولاً بسرايا استطلاعية ولا يغرر بالمسلمين، فأرسل موسى، ضابطاً من قبله (طريف بن مالك أبو زرعة)، على رأس قوة لا تتجاوز أربعمائة رجل من المشاة، ومائة من الفرسان، من البربر، فعبر طريف البحر على أربعة سفن في رمضان، (٩١/ ٧١٠)، وأغار على جزيرة (سميت باسمه) والمناطق المجاورة لها، وعاد للمغرب سالماً يجر معه سباياه، ويحمل أمواله، وبعث إلى موسى في القيروان بالخبر.
أخبار مجموعة، ص: ٤-٧.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٥-٧.

(٢) أخبار مجموعة: ص: ٦.
ابن عذاري: البيان، ج٢، ص: ٦.

(٣) المصدر نفسه.
الحميري: الروض المعطار، ص: ٣٥، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.

(٤) حمل على سفن يملكها بليان، وعلى أسطول إسلامي صنع خصيصاً لهذا الفتح.
أخبار مجموعة، ص: ٧.

(٥) أخبار مجموعة: ٧-١٩.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٧-١٩.
المقري: المنقح، ج١، ص: ١٦٣- ٢٥٩.
ديلاسي أوليري: الفكر العربي، ص: ٢٣٨.

علاقة الأندلس بالمغرب أثناء حكم الولاة:

امتثل موسى وطارق لأمر أتاهما من الوليد بن عبد الملك، بوقف العمليات العسكرية، والحضور إلى دمشق برفقة مغيث الرومي ٩٥/ ٧١٤، مستخلفاً ابنه عبد العزيز على الأندلس(١)، وبعد اغتيال الأخير(٢)، اختير أيوب بن حبيب اللخمي(٣)، إلى أن تولى حكم الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي، بعهد من والي أفريقية، وخلفه السمح بن مالك، بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز(٤)، وبعد وفاة ابن عبد العزيز، أصبح حاكم الأندلس تابعاً لوالي أفريقية(٥)، واندلعت ثورة البربر متصاعدة ضد الخلافة، فولى هشام لقمع الثورة رجلاً ظن فيه المقدرة والكياسة، وهو كلثوم بن عياض القشيري(٦)، الذي انهزم وقتل مع خيرة قادته، ولم ينج سوى بلج ومعه عشرة آلاف مقاتل حوصروا في سبتة، حتى أشرفوا على الهلاك(٧).

---

(١) أخبار مجموعة: ص: ١٩، ط١، ريدنير، مجريط، ١٨٦٧، (ع.لا).
ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ٢٨٤، لجنة التأليف العربي، القاهرة، ١٩٦١.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

(٣) هو ابن أخت موسى بن نصير.
ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٣٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

(٤) أخبار مجموعة، ص: ٢٣.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٥- ٢٦.
المقري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٣٥، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٧٩هـ.

(٥) إلى أن تولي الأندلس قيسي متعصب، هو عبيد الله بن الحبحاب، الذي أساء معاملة البربر مما شجعهم على الثورة، وقضوا على عدة جيوش أرسلها ابن الحبحاب، مما حدا بالخليفة هشام إلى عزل الأخير وتولية غيره.
انظر أخبار مجموعة، ص: ٢٤- ٥٩.

(٦) وكان ولي عهده ابن أخيه بلج بن بشر، وبلغ تعداد الجيش سبعين ألفاً جمع من مختلف البلاد الإسلامية، وكان يساعده ثعلبة بن سلمة العامري على جند الأردن، وهارون القرني على جناح الفرسان الأفريقيين، وثعلبة بن ثوابة الجذامي قائد المشاة.

(٧) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص: ٣٠-٣٨، مطبعة ريد نير مجريط ١٨٦٧، هذا المؤلف عاصر عبد الرحمن الناصر، حيث انتهى كتابه، وضمنه فشل الناصر أثر معركة القدرة (الخندق Alhandga أو شمنقة Samancas) عام ٣٢٦هـ وبعدها انصرف الأخير للملذات أخرى بالغزو بنفسه، ولم يذكر هذا الحدث ابن القوطية، وابن عبد ربه الذي تفانى في مدح الناصر وهما معاصران، وكذلك ابن عذاري الذي كتب عن نفس الحقبة، لم يلمح صاحب أخبار مجموعة، ما حصل آخر أيام الناصر، من سيطرته على نصارى الشمال، وتدخله في عزلهم وتنصيبهم (كما حصل لا بناء راميرو الثاني ملك ليون، ودب النزاع بينهما- أوردنيو وسانشو) فتدخل الناصر عسكرياً لصالح سانشو، وأعاده إلى ملكه، بعد استعطاف قام به الأخير ورجال دولته ترافقهم جدته طوطة (Tota)، ٣٤٩هـ=

وفي هذه الأثناء انتقلت عدوى الثورة إلى الأندلس، وتصاعدت بصورة خاصة في الشمال، حيث يعيش البربر، فاضطر حاكمها العجوز عبد الملك بن قطن الفهري، والحالة هذه أن يستنجد بالشاميين المحاصرين بسبتة بزعامة بلج، بعد أن اشترط عليهم أن يسلموه عشر رهائن عن كل فرقة من فرقهم، وإذا ما وضعت الحرب أوزارها فعليه أن يحملهم دفعة واحدة إلى أفريقية ولا يعرضهم لخطر البربر[1].

العلاقات التاريخية بين الأندلس والمغرب مدة عهد الإمارة:

بدأت هذه العلاقات، منذ نجح الأمير عبد الرحمن بن معاوية في الإفلات من قبضة العباسيين، وبعد لأي طوحت به الطريق إلى المغرب[2]، واضعاً عصا التسيار بين أخواله من قبيلة (نفزة) قرب طنجة[3]، ومنها عبر البحر إلى الأندلس، وأسس دولته الأموية

= ويبدو أن الأوراق التي تذكر اسمه وتلك الأخبار سقطت ولم يعثر عليها أحد ممن حقق أخبار مجموعة، أو مات المؤلف قبل وفاة الناصر فأخفي أسمه.
أخبار مجموعة، ص: ١٥٥- ١٥٦، ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ١٥٦- ٢٣٣.
أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص: ٢١٣، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (لا. ت).

(١) أخبار مجموعة، ص: ٣٩.
أما ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٣٠، يذكر أنه شرط عليهم أن يقيموا سنة بالأندلس ثم يخرجوا عنها.

(٢) نزل بالمغرب بمغيلة عند شيخ من زعماء البربر يدعى وانسوس (يكني أبا قرة)، واكتشف أمره في بيت ذلك الشيخ، فخبأته زوجته تكفات تحت ثيابها حتى لم يظهر له أثر. ولما دخل الأندلس سار إليه وانسوس، وزوجته وأكرمهما، وعاشا تحت رعايته، وقال ابن معاوية مرة لتكفات مازحاً، "ولقد عذبتني بريح أبطك يا تكفات على ما كان بي من الخوف، وسعطتني بأنتن من ريح الجيف، فكان جوابها له مسرعة، بل ذلك كان والله منك خرج لم تشعر به من فرط فزعك، فاستطرف جوابها واغض عن مواجهتها بمثل ذلك، وهذا من آفات المزاح".
المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٢٣.

(٣) أخبار مجموعة، ص: ٦٧.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٤١.
وقيل أن أمه تدعى (نفزة) أو (راح)، وهي من طرابلس كما يذكر (المقّري نفح الطيب، ج١، ص: ٣٢٧)، أخبار مجموعة، ص: ٥٥.

هناك بعد أن اجتاز سنوات مشحونة بالأهوال والاضطرابات، وحطم جميع الحواجز والعقبات أمامه[1]، وأنهى عصر الولاة، واختفى من الميدان آخر رجلين يمثلان تلك العهود[2]، وهكذا استقلت الأندلس عن المشرق، وبدأت مناطق شمال أفريقية بالانفصال تدريجياً عن جسم الدولة العباسية، وذلك للأسباب الآتية:

غالبية السكان من البربر الذين يعيشون حياة بدوية ميالين بفطرتهم للحياة الفردية البعيدة عن القيود، مع ابتعاد العباسيين حين وصولهم الحكم، نحو الشرق، فلم يعيروا المغرب الإسلامي اهتماماً كالمشرق، وذلك لانصرافهم إلى معالجة الحدود الشمالية ضد الهجمات البيزنطية، التي استوعبت معظم قواتهم العسكرية، فضلاً عن امتلاء الغرب بعدد من الطامعين بالجاه والحكم، كالأدراسة في فاس[3]، والأغالبة في إفريقية[4]، والدولة المدرارية في سجلماسة[5]، وتحكم دولة بوغواطة في أقصى المغرب على شاطئ الأطلسي[6]، وتأسيس الدولة الرستمية في مدينة تاهرت بالجزائر[7]، فضلاً عن الدولة

---

(١) أخبار مجموعة، ص: ٧٧-١٠٩.
ابن عذاري: البيان، ص: ٤ وما بعدها.

(٢) الرجلان هما: الصميل بن حاتم، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري، حاكما الأندلس حينئذ.
ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦٣.

(٣) تأسست على يد إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في المغرب الأقصى، أثر معركة فسخ، بين العلويين والعباسيين في زمن أبي جعفر المنصور، عام ١٧٢هـ.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٨٣- ٨٤.
ابن أبي ذرع: روض القرطاس، ض: ٩٥.

(٤) تأسست هذه الدولة على يد إبراهيم بن الأغلب (تونس) ١٨٤- ٢٩١/ ٨٠٠- ٩٠٩، في زمن هارون الرشيد، واتسعت الدولة وضمت إليها صقلية.
ابن عذاري: البيان المغرب، ص: ٩٢- ١٢٤.

(٥) تأسست على يد أبي القاسم سمعون بن راسول المكناسي، ١٤٠- ٣٤٩هـ وكان آخر ملوكها اليسع بن ميمون بن مدرار، فقتل على يد عبيد الله الهدى في سجلماسة.
ابن عذاري: البيان، ج١، ص: ١٥٤.

(٦) تنسب إلى يونس بن صالح بن طريف الذي ادعى النبوة، وسمي من ابتعه برباطي وحرفت إلى بوغواطي (١١٠- ٤٥٢هـ) إلى أن قضى عليها المرابطون.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٢٢٣- ٢٢٥.

(٧) تأسست على يد عبد الرحمن بن رستم بمدينة تاهرت، ودامت من (١٤٤- ٢٩٦هـ).
ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص: ١٣٧- ١٤٩.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ١٩٧.

الصالحية التي تأسست في الريف المغربي[1]، وعلى الرغم من ذلك ظلت العلاقات متصلة زمن الإمارة، فكانت المغرب الممر الطبيعي للأندلسيين الذين يؤمون المشرق، وبخاصة للديار الحجازية لتلقي العلم وزيارة الأماكن المقدسة فيها، وأحياناً تكون ملاذا للثوار من أهل شبه الجزيرة، كما حدث لثوار الربض[2]، ضد الأمير الحكم الذي قام بنفيهم وتشريدهم خارج البلاد، منهم من سكن فاس من أرض المغرب وآخرون واصلوا سيرهم حتى وصلت فلولهم إلى الإسكندرية من بلاد مصر[3]، ولم توصد أبواب الأندلس أمام المشرقيين من تجار وفنيين وعلماء الذين شردتهم الأزمات والصراعات السياسية وقتئذ[4]، حاملين معهم أصول الحضارة المشرقية التي غمرت الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط والتي تمثل نزعة التجديد في ذلك العصر فكانت المغرب هي الطريق المفضي للأندلس، ومنعطفاً لالتقاط الأنفاس.

وفي تطوّر للبحرية الأموية انتشرت جاليات أندلسية على الساحل الإفريقي فتأسست مدن تنس (Tenes) ووهران (O, an) سنة مئتين وتسعين هجرية في المغرب الأوسط[5]، حيث كانوا يترددون بين المغرب والأندلس صيفاً وشتاءً، وتجددت العلاقات هذه في زمن الخلافة بشكل ملفت للنظر، فحينما تولى الناصر الحكم، والأندلس جمرة تحتدم ونار تضطرم[6]، فضلاً عن التماس الحدودي بينه وبين الخلافة الفاطمية في المغرب،

---

(١) تأسست هذه الدولة على يد صالح بن منصور (٦٣- ٤١٠هـ) ونزل صالح هذا قرب الناضور في شمال المغرب في أول قدوم له من المشرق.
ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص: ١٧١- ١٧٨.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٢٢٣- ٢٢٥.

(٢) والربض كلمة عامية، أندلسية تعني الضاحية أو الحي.
التفاصيل في المراكشي: المعجب، ص: ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٥- ٣٦.

(٤) زمن الفتنة والحروب التي قامت بين الأمين والمأمون، ومن القادمين إلى الأندلس، وكان له أثر بعيد، الموسيقى زرياب.
العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص: ١٤٣.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ١٣٦.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص: ٢٢٣، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٠.

حيث أن قيام خلافتين متجاورتين وعلى أسس مذهبية مختلفة، كان من شأنه أن يحدث صداماً مسلحاً بينهما فكان لزاماً عليه أن يجابه هذا الخطر على حدوده الجنوبية[1]، فبدأ ببناء السفن الحربية، فضلاً عن تحصين سواحل بلاده الجنوبية، لتكن خط الدفاع الثاني انسجاماً مع السياسة التوسعية[2]، التي مهد إليها الناصر، وبالفعل بدأ في احتلال مدن الساحل المغربي المواجه لبلاده، فاستولى على مليلة وطنجة وسبتة مع إعطائه الأهمية للثغر الأخير لموقعه الاستراتيجي[3]، ثم اصطدم بالفاطميين في عدة معارك برية وبحرية[4]، وكانت الحرب سجالاً بينهما، وتخللتها عدة اتفاقيات ضد الفاطميين، عقدها الناصر مع كل من ملك إيطاليا، وأمبراطور بيزنطة والأخشيديين في مصر، بالإضافة إلى الحرب الباردة التي مارسها، فأرسل الفقهاء المالكية من الأندلس إلى مصر لمحاربة المذهب الشيعي[5]، علاوة على تنشيط الجواسيس والمخبرين في أنحاء المغرب، تعاونهم وجود جاليات أندلسية على طول الساحل المغربي من طنجة إلى بونة (عنابة الحالية في الجزائر)[6]، واستمرت سياسة التوجس والعداء نحو الفاطميين قائمة إلى ما بعد وفاة الناصر، في زمن خليفته الحكم المستنصر الذي ابتدأ حكمه بالاهتمام بالسواحل الجنوبية وتحصينها[7]، ومساعدة قبائل زناتة المغربية ضد الزيرين الموالين للفاطميين، فلذلك

(١) وهذا ما جرى بالفعل لخلافتي المغرب والأندلس، وبخاصة كان الفاطميون يفكرون بغزو شبه الجزيرة منذ قيام دولتهم بالمغرب، ولذلك مهدوا لخططهم بالدعاية المذهبية من جهة، وبث المخابرات في سائر الأندلس من جهة أخرى باسم التجارة تارة، وبافتعال الثورات تارة أخرى، وهذا التاجر أبو القاسم بن حوقل النصيبي (التاجر الموصلي) (ت ٣٦٧/ ٩٧٧) كان أحد عيونهم، وتأييدهم للثائر عمر بن حفصون، حيث أمده المهدي بالذخيرة والأسلحة.
ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص: ٢٤٨، القاهرة، ١٩٠٦.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص: ٧٤، المقّري: النفح، ج١، ص: ١٥٧.

(٣) البكري: المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، ص: ٨٩، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٠٤، انظر ابن أبي ذرع، ص: ٨٨.

(٤) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص: ٢٨٨، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٧، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢.

(٥) محمود علي مكي: التشيع في الأندلس، ص ١٢٤، ابن عذاري: البيان، ج٢، ص: ٢١٩- ٢٢٠.

(٦) البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ص: ١٠٤، نشرة ديسلان، الجزائر، ١٩١١.

(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٢٦.

حصل نوع من توازن القوى بين الطرفين المتنازعين وحلفائهما[1]، وعلى الرغم من ابتعاد الخلافتين عن بعضهما إلا أن أسباب الاحتكاك ما زالت ماثلة لهما[2]، فاستمال الفاطميون زعيم إلا دراسة الحسن بن كنون، وأمدوه بالمال والرجال، فاحتل شمال المغرب، لهذا أرسل خليفة قرطبة عدة جيوش من قبله لإخضاع الثائر الإدريسي، وإطفاء ثورته، وباءت خطط الفاطميين بالفشل لزحزحة النفوذ الأموي عن المغرب، وبذلك تمكنت سلطة الخلافة مرة أخرى من السيطرة على مضيق جبل طارق بضفتيه، لحماية الأندلس من أي خطر فاطمي أو بربري محتمل.

علاقة المنصور بن أبي عامر بالمغرب:

حافظ المنصور على السياسة نفسها، التي سار عليها كل من الناصر وابنه الحكم، التي تقوم على ضرورة الاحتفاظ بالمغرب تحت السيادة الأندلسية، حتى وصلت سلطة الخلافة إلى مدينة سجلماسة في الجنوب[3]، وعلى الرغم من هذا النجاح الذي رافق ابن أبي عامر، إلا أن انتفاضات وفتنا عديدة ظهرت ضد سلطة الأمويين في هذه المنطقة، غير أن المنصور استنفر كل طاقات الخلافة من أجل الحرب[4]، وأخيراً تمكنت السلطة الأموية

(١) حين تمكنت الدولة الزيرية الموالية للفاطميين من السيطرة على النصف الشرقي من بلاد المغرب، وبالمقابل سيطرت زناتة الموالية للأمويين على الجزء الغربي من ملوية إلى طنجة.

(٢) لذلك قام زعيم الأدارسة الحسن بن كنون بتحريض من الفاطميين، واحتل بقواته طنجة وتطوان وأصيلا، وسائر المنطقة الممتدة من نهر اللوكس (Locos) شمالاً.
ابن ذرع: روض القرطاس، ص: ٩١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٢٤٤، ج٢، ص: ٢٧٨- ٢٧٩.
انظر: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٣٠- ٢٣١، ص: ٣٩٨.

(٤) قام المنصور بالاستكثار من التحصينات على طول الطريق من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء، وشحن جميع المناطق الاستراتيجية بالعدة وملأها بالجيوش، وقام باستمالة القبائل المغربية، ومدها بالعون والمساعدة والوعاظ والدعاة ووسائل الأعلام، ومن تلك الثورات، ثورة ملك الدولة الزيرية ضد فارس وسجلماسة، وثورة الأمير الإدريسي الحسن بن كنون مرة أخرى، بتحريض من الفاطميين، بعد أن ترك قرطبة، وأقام هناك (عند الفاطميين) مطروداً، أما الثورة الخطيرة، فكانت من حليف الأمويين زيري بن عطية المغراوي، الزناتي (٢٨٦/ ٩٩٦) الذي حارب في صف المنصور لإخضاع الإدريسي، وانقلب ضدهم، انظر: ابن أبي زرع: الروض، ص: ٩٤- ١٠٨، انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٢٣٧، ج٢، ص: ٢٨٠- ٢٨١. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص: ٧٨، انظر: ابن خلدون: العبر، ج٢، ص: ٤١.

من إخضاع جميع الثائرين، ونشرت سلطتها مـن جديـد علـى معظـم المغـرب الأقصـى، ويعود الفضل في ذلك إلى دهاء المنصور نفسه، واستعماله خيرة قادته في الحروب، أمثـال واضح الصقلبي والمظفر ابنه، غير أن فكرة الانتقـام مـن الخلافـة الفاطميـة ظلـت تـراود أذهان الأمويين في الأندلس، على الرغم من هذا النجـاح، وبعـد المسـافات الـتي كـانت تفصل بينهما[1].

انتشار مذهب مالك في المغرب والأندلس:

انتشر هـذا المذهـب هنـاك، بينمـا كـان أهـل الأندلـس علـى مذهـب الأوزاعـي الشامي[2]، وأول من أدخله تلك البلاد هو أبو عبد الله زياد بـن عبـد الرحمـن بـن زيـاد اللخمي المعروف بشبطون على عهد الأمير هشـام[3]، ولعلنـا نتسـاءل، لمـاذا أقبـل أهـل الأندلس والمغرب على اعتناق هـذا المذهـب ولم يقبلـوا علـى غـيره؟ قـد يكـون انتشـار المذاهـب يرجـع إلى عـدة عوامـل، وليـس إلى عـامل واحـد، منـها نفسـية واجتماعيـة، وحضارية، وربما سياسـية[4]. ومـن المعـروف تاريخيـاً أن الجيـوش الـتي دخلـت المغـرب والأندلس، كانت من الحجازيين، ومن أهل الشام[5]، أما العنصر العراقي فلم تذكر كتب فتوح الأندلس أنه رافق هذه الجيوش، لذلك كان من الطبيعي أن يبقى الاتصال مسـتمراً بين الحجازيين المغاربة وذويهم في الديار المقدسـة، امـا بقصـد الزيـارة أو لتأديـة فريضـة الحج[6]، لهذا رحل عدد من رواة الحديث في زمن الأمير هشـام الأمـوي[7]، حيـث كـان رائد تلك الجماعة في إدخال موطأ مالك هو شبطون السالف الذكر، الذي اجتمع بالإمام

(١) يذكر أن المنصور تفتحت قريحته في نشوة انتصاراته تلك فقال:

عـن قريـب تـرى خيـول هشـام   يبلـغ النيـل خطوهـا والشـآما

(٢) المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٨٢.المتوفى عام (٧٤٧/١٥٧)؛ الخشني: قضاة قرطبة،ص: ١٥-١٩.

(٣) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٤٣.

(٤) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص: ٣٥٥.

(٥) تلك الجيوش تحت قيادة موسى بن نصير، وبلج بن بشر في ما بعد.
أخبار مجموعة، ص: ١٥-٣٩.

(٦) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٥٨- ٦٠.

(٧) منهم فرغوس بن العباس، وعيسى بن دينار، وسعيد بن أبي هند، بالإضافة إلى شبطون السالف الذكر.
ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦٥.
المقري: نفح الطيب، ج٢، ص: ٢٥١ وما بعدها.

تلك الجماعة في إدخال موطأ مالك هو شبطون السالف الذكر، الذي اجتمع بالإمام مالك، وأعلمه عن حسن سيرة هشام، وتدينه، فرد مالك قائلاً، وددت أن الله زيّن موسمنا به[1].

علماً أن مذهب مالك غلب على غيره من المذاهب بسلطان الدولة، حيث كان لا يتولى القضاء إلا من فقهاء ذلك المذاهب[2]، ومع استقلال إمارة الأندلس عن الدولة العباسية ذات المذهب الحنفي، فلذا قد يكون انتشار المذهب المالكي يرجع إلى تحقيق هذه النزعة الاستقلالية عن المشرق[3]، علاوة على أن الإمام مالك نفسه كان ذا ميول سياسية لا يرضى عنها العباسيون[4]، فربما كانت هذه الأسباب مجتمعة هي التي أدت بالأندلسيين إلى اعتناق المذهب المالكي كرها بالعباسيين، يضاف إلى ذلك أن عرب الأندلس ليسوا من القدرة للانفلات من واقعهم، ليستفيدوا من التشريع ومن التنظيم السياسي اللذين كانا في الأندلس- كما فعل العرب حيثما نزلوا، في الشام والعراق وفارس ومصر، لأنهم كانوا يجهلون لغة أهل البلاد، ولأن معظم العرب الذين نزلوا فيها كانوا بدوا لم يعانوا السياسة والحكم من قبل معاناة حضرية، من أجل ذلك ظل التشريع والمذهب عندهم مستمداً من الأصول الدينية (القرآن، الحديث، الإجماع)، نزعة أهل الحديث، ولم يكن لهم علم بالقياس، لأنه يتطلب قدراً كافياً من التفقه في الدين، ومن معاناة المنطق مما هو بعيد عن طبيعة البداوة[5].

---

(١) أخبار مجموعة: ص: ١٢٠، بينما يذكر ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦٥، ليث الله زين سماءنا بمثل هذا انظر ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦٧.
محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: ٢٢٣.

(٢) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦٦-٦٧.

(٣) أخبار مجموعة: ص ١١٨- ١١٩.

(٤) قد يكون بسبب تأييد الإمام مالك لثورة العلويين في المدينة عام ١٤٥هـ بزعامة محمد النفس الزكية ضد العباسيين، وذكر أنه قال لأهل المدينة إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين أو طلاق.
أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص: س١٢٢.

(٥) ابن خلدون: المقدمة: ص: ٤٤٩، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

طبيعة المجتمع الأندلسي:

لما فتح المسلمون الأندلس، وترسخت أقدامهم هناك، اتخذوها موطناً يستقرون فيها، وبدا ثراء الأندلس، مضافاً إليه سرعة الانتصارات، وتحقيق السيطرة في مدة وجيزة، يجذب إليها عناصر شتى من السكان، فأقبلت طوائف مختلفة في الجنس والعقيدة والثقافة، تنتشر في أسبانيا النصرانية، فلقد ضمت الأندلس مع العرب الفاتحين (البلديون) والعرب الوافدين (الداخلون جماعة بلج)، أعداداً كبيرة من الأسبان المسالمة (أي الذين دخلوا في الإسلام) وطوائف الذميين أو المستعربين (الذين بقوا على دينهم في ظل المسلمين) فجماعات المولدين (وهم نتاج التزاوج بين العرب ونساء الأسبان، وأبناء الأسبان المسلمين)، ثم البربر جيش الفتح مع طارق بن زياد، والذين لحقوا بهم من بلاد المغرب في ما بعد[١]، يطلبون الاستقرار والهدوء ويبحثون عن المال والثراء، ثم طائفة اليهود[٢].

* العـــرب:

دخلت عدة طوائف من البشر، إلى الأندلس تحمل هذا الاسم، مع موسى ابن نصير، هذه الجماعات، معظمها من العرب[٣]، وموالي بني أمية، ومن لحق بهم من البربر الذين كانوا في حكم العرب على الرغم من أصلهم البربري[٤]، استقرت في نواحي الجزيرة وأشبيلية وقرطبة، وطيلطلة، وسرقسطة، وفي أقصى الشمال والشمال الغربي[٥]،

---

(١) جاء في نفح الطيب (ولم يكن خبر هذه الانتصارات تصل إلى أفريقية حتى أقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب، وقشر، فلحقوا بطارق، ففاض سيل البربر على الأندلس.
المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٥٩، تحقيق محي الدين عبد الحميد، وط بولاق، القاهرة، ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م.

(٣) كان معظمهم من اليمنيين.
ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ١٩٨.

(٤) المقّري: نفح الطيب، ج٣، ص: ٢٨٨- ٢٩٠.

(٥) سلكوا في نفس المسار الذي طرقه موسى عند الفتح، وكانت القيسية قلة في هذا الزحف فاستقرت في الجنوب.

ثم أعقبتها جماعات بلج من الشاميين، فاحتدام النزاع بين الوافدين الجدد والجماعات التي سبقتهم، على شكل صراع قبلي بين يمنية وقيسية، وطوروا على شكل صراع سياسي واقتصادي[1]، ودخل هؤلاء رجالاً فقط في معظمهم، ثم يتزوجون من السكان الأصليين[2]، فنشأت طبقة المولودين ثمرة هذه الزيجات[3]، مضافاً إليهم السكان الذين اعتنقوا الإسلام، وهذه تختلف اختلافاً بيناً عن العناصر الأولى التي افتتحت الأندلس[4].

*** البربــر:**

كان أولهم ضمن جيش طارق بن زياد عند ابتداء الفتح لبلاد الأندلس، ثم تتابعت الهجرات البربرية عقب الفتح، وقد امتلأت شبة الجزيرة بهؤلاء المهاجرين أي زادت أعدادهم أضعافً على أعداد العرب[5]، وظل تيار الهجرة البربرية متصلاً بحكم الجوار، وبحكم إغراء شبة الجزيرة[6]، وتم استقرارهم في أنحاء مختلفة من الأندلس في أول الأمر، ولكنهم فضلوا السكن في أمكنة تتناسب مع أمزجتهم فاختاروا مدينة سالم (قاعدة الثغر

---

(١) المقّري: نفح الطيب، ص: ٢٨٨- ٢٩٠.
انظر: أخبار مجموعة، ص: ٤٠- ٤٦.

(٢) أول من فعل ذلك من العرب، عبد العزيز بن موسى بن نصير، حيث تزوج أرملة رذريق، وفي رواية أخرى ابنة رذريق، وتزوج كذلك، زياد بن نابغة التميمي من إحدى بنات الأسبان، وعيسى بن مزاحم الذي تزوج من سارة القوطية (Sarrela Gothe)، بنت المنذ بن غيطشة، وعند وفاة عيسى عام ١٣٨هـ تزوجت سارة من عمر بن سعيد، وولدت له حبيب بن عمير جد بني سيد وبني حجاج، وبني مسلمة، وبني حجير الجرز، وهؤلاء من أشراف أشبيلية.
ابن عذاري: البيان، ج٢، ص: ٢٣، ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٦.
غوستان لوبون: حضارة العرب، ص: ٢٦٨، ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩٠.

(٣) مؤنس: فجر الأندلس، ص: ٣٧٦.

(٤) لوبون: حضارة العرب، ص: ٢٦٩.

(٥) المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٢٩- ٢٣٤.

(٦) المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ١٦٣.
وسكن البربر من الأماكن، السهلة،ووادي الحجارة، وجهات طيطلة، ثم ما بين نهر دويرة، ونهر تاجة.

الأوسط)، ولا رده ووشقة، وشنتمرية، وكل المناطق المرتفعة شمال نـهر دويـره، وأعـالي نهر أبرة، وقد أقبلوا على شـبه الجزيـرة بـأعداد كثيرة، وتجـاوزا في سكناهم نـهر تاجـة شمالاً[1].

* المـوالي:

كان الموالي أما مشارقة دخلوا الأندلس، وقـد ارتبطـوا برابطـة الـولاء نحـو البيـت الأموي، أو لأفراد منه، وأما مغاربة فضلوا الانضواء تحت لواء الأمويـين أو قادتـهم، أو من بعض القبائل العربية الذين فضلوا ولاء بني أمية كذلك لينالوا الحظـوة لديـهم وعلـو المنزلة، أو من سكان أسبانية الأصليين حبذوا الانتماء للسلطة الحاكمة بطريق الـولاء[2]، وكان ولاؤهم بطريق الاصطناع[3]، دخلوا يطلبون الحماية وعلـو المنزلـة، أو مـن سـكان أسبانية الأصليين حبذوا الانتماء للسلطة الحاكمة بطريق الولاء[4]، وكان ولاؤهم بطريـق الاصطناع، دخلوا يطلبون الحماية وعلو المرتبة. ويرجع دخول هؤلاء الذين يسمون موالي بني أمية إلى تاريخ دخول بلج بن بشر للأندلس، على أثر قراره بعـد معركـة بقـدورة[5]،

---

(١) أخبار مجموعة، ص: ١٣-٤٠.

(٢) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ١٤-١٥.

(٣) ولاء الاصطناع يختلف عن ولاء العتاقة، فولاء الاصطناع هو انتماء الفـرد إلى قـائدة أو أمـيره، انتمـاء مصلحة أو منفعة، فاقتضت مصلحته مع هذا الأمـير أو بجـانب هـذه الدولـة، واصبـح حاكمـاً باسـم الدولة التي ينضوي تحت لوائها، ونسـتدل علـى ذلـك عندمـا عـزم عبـد الرحـمن الداخـل، أن يدخـل الأندلس، وأراد أن يكسب يوسف الفهري، بعث إليه وفداً من مواليه حيث يقول ابن القوطية: ويبعث معهم بكسا وفرسين وبغلين ووصيفين، وألف دينار، وكتب إليه يذكر لـه اصطنـاع آبائـه لجـد يوسـف (أي اصطناع بني أمية لعقبة بن نافع جد يوسف الفهري)، ولأهله، ويدعوه إلى العهد والتوسعة، علمـاً أن عقبة بن نافع كان قائداً من قواد بني أمية في المغرب، أي من صنائعهم ومؤيديهم.
ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ٧٥- ٧٦.

(٤) ابن حزم: الجمهرة، ص: ٤٦٧.
ومن هؤلاء الموالي: بنو قسي، وبنو بارون، وبنو غومس، وبنو غرسية، وبنو فارلة، وبنو مرتين، فقد أسلم آباء هذه البيوت في الشرق على يد خلفاء بني أمية أو قادتهم، وعادوا إلى الأندلس بلادهـم، بهذا الولاء، وانتقل ولاؤهم في ما بعد إلى بني أمية في الأندلس.

(٥) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص: ١٥.
ابن عذاري: البيان المقرب، ج٢، ص: ٣٠.

لائذا بسبتة (Ceuta) متحصناً بها بمن نجا معه من جيشه[1]، وكان معهم موالي من المشرق ومن المغرب، ومنهم قبيلتان بربريتان[2]، علماً أنهم كانوا يتمتعون بمركز اجتماعي ومعنوي لا يقل عن العرب، بل أن العرب في الأندلس كانوا يفتخرون بانتمائهم للموالي[3]، ويزيدنا وضوحاً ابن القوطية عن هؤلاء الموالي في أخبار أرطباس[4]، فضلاً

---

(١) وهؤلاء الموالي جزء من عدد عظيم من الموالي كان هشام بن عبد الملك قد بعث بهم إلى أفريقية وعلى رأسهم كلثوم بن عياض، وكان معه ثلاثون ألفا من موالي بني أمية، وعشرون ألفا من القبائل العربية، وانهزام هذا الجيش أمام البربر في موقعة بقدورة (أو نقدورة) السالفة الذكر، ولم ينج من الجيش العربي هذا إلا بلج في عشرة آلاف نفر منهم ألفا مولى، وثمانية آلاف عربي.
ابن القوطية، افتتاح الأندلس، ص: ١٤- ٢١.
ابن عذاري: البيان المقرب، ج٢، صك ٣٠-٣١.

(٢) هاتان القبيلتان هما بنو خليع، وبنو وانوس.
المصدر السابق.

(٣) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، نشر دار النشر للجامعيين، ص: ٩٥- ٩٦، أو نشر خليان ريبرا، ص: ٧٦.

(٤) دخل على أرطباس عشرة من الشاميين فيهم أبو عثمان، وعبد الله بن خالد، وأبو عبده، ويوسف بن بخت والصميل بن حاتم، فسلموا وجلسوا على الكراسي، المحيطة بكرسيه، فلما أخذوا مقاعدهم، دخل ميمون العابد جد بني حزم البوابين، وهو أحد الموالي الشاميين، فلما رآه أرطباس داخلاً قام إليه والتزمه، وجعل يقوده إلى كرسيه، وكان معمداً بالذهب والفضة، وقال له لا يحل لي، فجلس على الأرض، وجاء يطلب أرضاً يستأجرها ليعيش، فملكه أرطباس حقلاً بما فيه من البقر والغنم والعبيد، وقلعة بجيان يسكنها، والصميل وصحابته جلوس ينظرون، فقال له الصميل: 'يا أرطباس ما يعجزك من سلطان أبيك الإنفاذ الطيبة، أدخل عليك وأنا سيد العرب بالأندلس فلا تزدنا من الكرامة على القعود على العيدان، ويدخل هذا السؤال فتصير من إكرامه إلى حيث صرت...' فقال لارطباس، القوم، دع وانظر ما في قصدنا له حاجتنا، وحاجة الرجل الذي قصدك وأكرمته، واحدة فقال أنتم ملوك وليس يرضيكم إلا الكثير فوهبهم مائة ضيعة..'
وليس من المعقول أن يصفهم هذا الوصف لو لم يكونوا من سادات العرب.

ويذكر حسين مؤنس هذه القصة في كتابه 'فجر الأندلس' ص: ٣٩٩، ويورد هذه العبارة، ويؤيد ذلك أن الصميل قال لهم بعد ذلك أنتم ملوك' مع أن الذي قال لهم ذلك هو ارطباس، ذلك عندما رجعت إلى الأصل، فلذلك رأيت أن مؤنس سقط في خطأ عند إيراده هذا التوضيح في حق الموالي.
ابن القوطية: ص ٦٠- ٦٣.

عن أن أولئك يعتبرون أنفسهم من أتباع البيت الأموي[1]، وإليهم يعود الفضل في نجاح دعوة عبد الرحمن الداخل، واستلامه الإمارة في الأندلس[2]، فقاموا بذلك الدور الخطير الذي تم بموجبه تحوّل تاريخ شبه الجزيرة تحولاً جذرياً، فتأسست الدولة الأموية هناك وامتدت ثلاثة قرون، بمؤازرة هؤلاء الموالي الذين تسنموا مراكز الحكم والإدارة في دولة عبد الرحمن، وخلفائه من بعده، وازداد مركزهم سمواً في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر.

* العبيد والصقالبة:

وهذا عنصر دخيل على المجتمع الأندلسي، ونسبته ضئيلة، ويضم العبيد والصقالبة، فالعبيد هم الذين جلبهم النخاسون من السودان إلى أسبانية، وكانوا مرتزقة وحراساً للدولة، ثم اخذوا يمتزجون بسكان المدن بالنسب والمصاهرة[3].

أما الصقالبة فهم الذين ابتاعهم عرب أسبانية من سبي الشعوب الأوروبية من السلاف، وسواحل البحر الأسود، وإيطاليا، ومن قطالونيا وجليقيا في شمال أسبانيا، وجلبوهم أطفالاً، وربوا تربية إسلامية، وتدربوا على الأعمال العسكرية، والخدمة في القصور، وهم طائفة نشطة، احتلت الطبقة الأولى في مجتمع قرطبة في السياسة والجيش، ولها وزنها في اقتصاد الدولة، وأسهموا كثيراً في انهيارها السريع[4]، وكان أول من استخدمهم الحكم الربضي ابن الأمير هشام، واستكثر منهم الخليفة الناصر وابنه

---

(١) أخبار مجموعة، ص: ٧٢ وما بعدها.

(٢) فهذا أحد الموالي يتولى البيعة للخليفة الناصر وهو بدر بن أحمد مولاه، الذي اصبح رئيساً للوزراء، وولى عدداً من إخوانه الموالي خطط الوزارة، وإدارة الدولة، أمثال، بني حديرٍ، وبني شهيد، وبني وانسوس، وبني عبد الرؤوف، وبني فطيس، وبني مغيث، أما بنو مغيث فهم موالي الوليد بن عبد الملك.
أخبار مجموعة، ص: ٣٤.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ١٥٩.

(٣) ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩١.

(٤) ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩٣.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ١٥٦ وما بعدها، ج٣، ص: ٤ وما بعدها، بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص: ٧٦.

الحكم[1]، ونشأ منهم الشعراء والكتاب، حتى استطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية في المجتمع القرطبي، ويحد من نفوذ الارستقراطية العربية في الحكم، ومن سيطرة العرب والبربر على الجيش[2].

* المولودون وأهل الذمة في نصارى ويهود:

عندما دخل المسلمون الأندلس لم يباعدوا بينهم وبين عامة الناس، بل اختلطوا في المجتمع الأندلسي شعباً متواضعاً يعيش مع السكان الأصليين بسلام[3]، ويتزوجون منهم ويتناسلون[4]، فلما دخل أهل البلاد الإسلام[5]، أطلق على أولادهم الذين نشأوا في ظل هذا المجتمع المولدين، وبقيت تطلق عليهم هذه التسمية، حتى زمن متأخر، ثم تلاشت تلك التسمية، وتحوّل أهل الأندلس إلى أندلسيين دون تمييز[6].

وأما لفظ مستعرب (Mozarabes) فلم يظهر إلا في زمن لاحق، أي منذ القرن الحادي عشر الميلادي، في كتابات نصارى أسبانيا، وذلك تمييزاً لهم عن غيرهم من النصارى القشتاليين والفرنجة الوافدين على ملوك المسيحية لمحاربة المسلمين، وفضلوا الاستقرار هناك جنباً إلى جنب مع النصارى المستعربين (Mozarabes) داخل حدود الممالك النصرانية، الذين تميزوا عن غيرهم بثقافتهم ولسانهم العربي، بينما كان للمستعربين في المجتمع الإسلامي زعيم مسؤول أمام السلطة يسمى (القومس)[7].

---

(١) المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٢٢١
بروفنسال: حضارة العرب والأندلس، ص: ٧٥.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ١٣٤، وما بعدها.
ولقد كانت كلمة الصقالبة تطلق في الأصل على الأسرى السلاف الذين يأسرهم الألمان ويبتاعونهم منهم العرب في أسبانيا، ولكنها أصبحت تطلق في ما بعد على جميع الأجانب الذين يخدمون في القصر وفي الجيش.

(٣) ابن القوطية: افتتاح الأندلس، ص ٥٩.
ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩٢.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص: ٢٦٨.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٤٨.

(٦) مؤنس: فجر الأندلس، ص: ٤٢٥.

(٧) القومس بمعنى الحامي والمدافع، ويمارس سلطات رئيس الشرطة على طائفته، وكان منوطاً بجباية الضرائب مسؤولاً عنها، يعاونه قاضي خاص (قاضي العجم)، وهو الرقيب عليهم بفض المنازعات=

* اليهــــود:

لقد اضطهد الرومان والقوط اليهود، وبلغ من اضطهاد القوط لهم مبلغاً فظيعاً، إذ قرر مجمع طليطلة (الثامن) ضرورة تعميدهم، وتنصيرهم، وحرمانهم من ممارسة شعائرهم الدينية، فأخذ اليهود يتآمرون سراً ضد مضطهديهم، فعاد القوط وبالغوا بالتنكيل فيهم، واعتبروهم أرقاء، واقتسموا سبيهم، وحاول (أخيكا) أحد ملوك القوط التخفيف عنه، ولكن ما أن شعروا بالحرية عادوا إلى التآمر، واتصلوا بيهود المغرب طالبين إليهم الانضواء تحت الراية العربية عند فتح الأندلس، فشعر ملك القوط بخططهم التآمرية، فضيّق عليهم الخناق[1]، لذا رأينا كيف وقف اليهود إلى جانب العرب أثناء الفتح[2]، فاتخذ منهم المسلمون حراساً على البلاد المفتوحة[3]، وواجه اليهود تسامحاً مطلقاً من الفاتحين الجدد، فنشأوا في ظل الدولة الإسلامية، فكانت أسبانية العربية البلد الأوروبي الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها[4]، فظهر منهم العلماء والكتاب والوزراء والأطباء، فكان حسداي بن شفروط طبيب الخليفة الناصر، وموسى ابن ميمون الفيلسوف المعروف[5]، وكان لهم نفوذ خاص في مملكة غرناطة مثل الوزير ابن نغربلي الإسرائيلي[6]، لذلك كانت الأندلس جنة اليهود في العصور الوسطى، حيث نمت

=بين المستعربين، وأول القمامسة في الأندلس (ارطباس) ابن غيطشة ملك أسبانيا المقتول أو المتوفى قبل الفتح الإسلامي.

ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٣.

ابن القوطية: افتتاح الأندلس، دار النشر للجامعيين، ص: ٢٨-٦١.

ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩٥.

أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين: ص: ١٥٤.

(١) فجر الأندلس، للدكتور حسين مؤنس، ص: ٥٢١- ٥٢٣.
عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص: ١٣٣.

(٢) حتى: تاريخ العرب، ج٣، ص: ٥٩١، روم لاندو: الإسلام والعرب، ص: ١٧٢.

(٣) أخبار مجموعة، ص: ١٤-١٦.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ط٢، ص: ٢٧٥-٢٨٠.
روم لاندو: الإسلام والعرب، ص: ١٧٢.

(٥) عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص: ١٣٣.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص: ١٧٠.

لغتهم، ونشأ أدبهم في ظل العرب، واستعربت ألسنتهم، وقلدوا المسلمين في العادات وطريقة الأكل واللباس، واعتنق منهم الإسلام أناس كثيرون، وكان لهم مطلق الحرية السياسية والاقتصادية، وبخاصة في مملكة غرناطة الزيرية، فسيطروا على التجارة بين الأندلس والقارة الأوروبية من جهة، وبين المشرق الإسلامي من جهة أخرى[١]، وقد لعبت مدينتهم اليسّانة[٢] (Lucena)، دوراً بارزاً في اقتصاد تلك المملكة[٣]، واستمر اليهود يمارسون دروهم النشيط في خدمة المسلمين والنصارى بصفتهم متشارين وسفراء ممثلين[٤]، وهم من الذين اعتمد عليهم الفونسو السادس (Al- Fonse VI) في احتلال طليطلة[٥]، وكان لليهود حريتهم الدينية، لهم معابدهم يقيمون فيها صلواتهم، وهم أحرار في حلهم وترحالهم، فعلاقاتهم مع المسلمين حرة من كل قيد، بخلاف الجودريات أو أحياء الجتو (ChettoI) المقفلة ذات الأسوار العالية التي كانت تحيط بهم في أوروبا الغربية والشرقية منها على حد سواء، زمن العصور الوسطى، ولم يستطيعوا الإفلات من هذه المخابئ إلا في العصور الحديثة.

(١) ج. س. كولان: الأندلس، ص: ٩٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠.

(٢) تقع في إقليم قرطبة في الجنوب الشرقي، انظر: خارطة الأندلس.

(٣) كان من يهودها جباة الضرائب في زمن المرابطين، فاشتطوا في جمعها، وقسوا على الناس.
ج.س. كولان: الأندلس، ص: ٩٦.

(٤) مؤلف مجهول: الحل الموشية، ص: ٤١.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ٢٦٤.

(٥) غوستان لوبون: حضارة العرب، ط٢، ص: ٣٢٦.

الوضع السياسي بعد انهيار الخلافة الأموية في الأندلس

تميّزت الخلافة الأموية بعدة خصائص منها:

* الاعتماد الكلي في توطيد سلطانها على الموالي والصقالبة، وهي سياسة بدأت في عهد الإمارة منذ أيام عبد الرحمن الداخل، ووصلت ذروتها في عهد الناصر(١).

* ثم الشك بالقبائل والزعامات العربية، والعمل المستمر على أقصائها، بسبب ما لقيه بنو أمية منذ البداية من معارضة هذه القبائل والزعامات وتمردها المتوالي، وثوراتها المتعددة(٢).

* العطف الواضح على أهل الذمة من نصارى ويهود منذ عهد الإمارة(٣)، التي بلغت ذروة قوتها، ونفوذها السياسي والأدبي في عهد الناصر، وولده الحكم المستنصر، بيد أنه بوفاة الأخير (٣٦٦/ ٩٧٦) وتوليه ولده القاصر هشام المؤيد، تبدو طلائع ذلك الانقلاب الحاسم في مصير الخلافة، منذ بدأ محمد بن أبي عامر يظهر على المسرح السياسي(٤)، ويستبد بالأمور(٥)، دون الخليفة، واتخذ شارات الملك، وانتنى المدن، واقتنى الضياع، واستصغر شأن هشام، وحجر عليه ومنع الاتصال به، واستمر الحجر

---

(١) أخبار مجموعة، ص: ٦٧.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص: ٤٠.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٤٧-٥٨.
انظر: أخبار مجموعة، ص: ٨٤- ١٠٥.

(٣) علاوة على تعيين القومس والقاضي الخاص للنصارى المعاهدين، عين كذلك لهم مطران خاص مركزه مدينة اشبيلية، وقد استمر هذا التسامح عصوراً وذلك بالرغم مما كانوا يدبرونه في بعض الأحيان من دسائس ومؤامرات ضد الحكومة، ويعقدون من صلات مريبة مع نصارى الشمال.
أشباخ: تاريخ الإسلام، ج١، ص: ١٥٤.
ابن عبد البر: الكافي، ص: ٢٦.

(٤) ابن الخطيب: أعلام الأعلام، ص: ٥٨.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٦١- ٢٧٢.
ابن بسام: الذخيرة، ج ٤، ص: ٥٠.
المقّري: نفح الطيب، ج٢، ص: ١٢٤- ١٢٥.

ثلاثين عاماً مدة الدولة العامرية، التي انتهت بمصرع عبد الرحمن (شنجول) (٣٩٩/ ١٠٠٩) وخلع هشام المؤيد، وتنصيب محمد بن هشان خليفة مكانه[1]، وطالما انتهت دولة بني عامر[2]، ابتدأت فترة قاتمة في تاريخ الأندلس، وكان في نهايتها انهيار الدولة

(١) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولقب بالمهدي، وانتهى بذلك عهد السلطة الثنائية، سلطة الخلافة الأموية الأسمية، وسلطة بني عامر الفعلية، ولكن عودة الخلافة على هذا النحو لم يكن سوى بداية مأساة مروعة، استمرت زهاء أربعين عاماً، اضطربت فيها الأندلس بالفتن المدمرة، وغدت الخلافة الاسمية، والسلطة الفعلية مغنماً متداولاً بين بني أمية، والفتيان العامريين، والبربر، وبني حمود، وقامت في وقت واحد بالأندلس أكثر من خلافة ومنبر، في قرطبة، ومالقه، وأشبيلية، وغدت تلك المدن مسرحاً لمعارك وحروب أهلية مدمرة، وتمخضت هذه المحنة في النهاية عن مأساة جديدة.

ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص: ٢٧٦- ٢٧٩، ج٣، ص: ٥٠- ١٥.

ابن خلدون: العبر، ج٤، ص: ١٤٧- ١٤٨.

ابن بسام: الذخيرة، ج١، ص: ١٤-٢٧٢.

ويبدو أن ابن أبي عامر يتحمل جانباً مهماً من الانهيار الذي أصاب الخلافة وأدى بها إلى السقوط، حيث كانت عاملاً أساسياً في وحدة المسلمين في الأندلس، وطاعتها التي تعمقت في النفوس كانت نتيجة لتلك الهيبة وذلك الإجلال اللذين تكونا عبر الأجيال، وبفضل أعمال مجيدة، دأب الأمويون على القيام بها خلال ثلاثة قرون، كانت تؤلف رابطة قوية بين مسلمي الأندلس، وكان معنى سلب المنصور للخلافة هيبتها واغتصابه لسلطانها، وفرضه على الناس هيبته، دون الخلافة، وحقده على الأمويين، كان معناه تحطيم عامل قوي موحد للمسلمين في الأندلس، جرّها بعد ذلك إلى التمزّق والتفتت، وشجع نصارى الشمال على بدء ما يسمى بحرب الاسترداد، التي توجت أخيراً بالنجاح، وأخرج العرب من أرضهم.

المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٤١٧- ٤٢٦.

(٢) وصية ابن أبي عامر لابنه: إياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم.

ويقول كذلك في وصيته لغلمانه: "... ولا تغرنكم بوارق بني أمية... فليس يرأسهم بعدي أشفق عليكم من ولدي...".

ابن حيان: المقتبس، ك٢١، صك ٢٢-١٢٨.

التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، ص: ١٩٥- ١٩٦، نشر وتوزيع مكتبة الدار البيضاء، لا.ت.

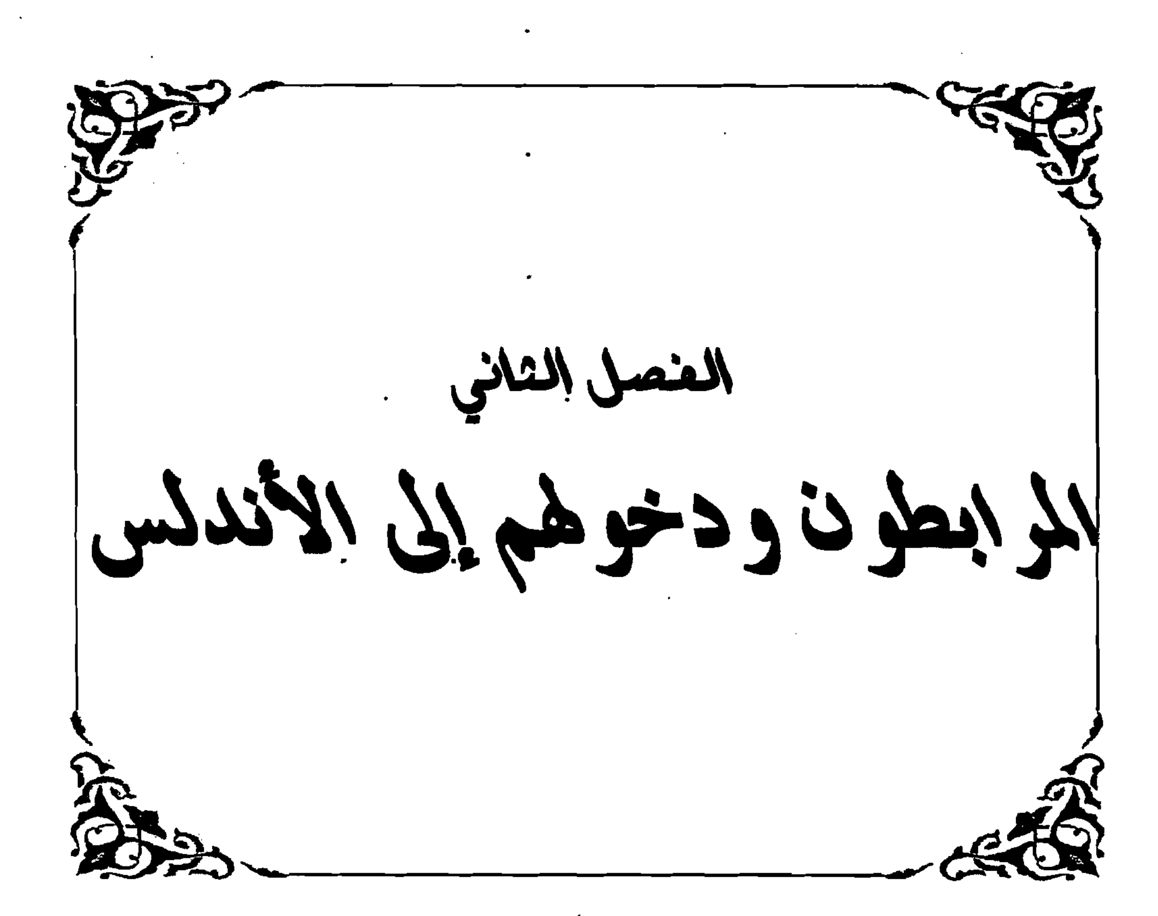
الأموية ٤٢٢/١٠٣[١]، التي تبعثرت في كيانات سياسية متخاصمة، وابتدأ عهد ملوك الطوائف[٢]، التي مزقتهم الحرب الأهلية، مما دفع يوسف بن تاشفين اللمتوني أن يشق طريقه عبر المضيق إليهم ويأخذ بتصفيتهم جميعاً، ليضع حداً للمآسي المفجعة ويعيد للبلاد وحدتها[٣].

---

(١) وكان آخر خلفائها هشام الثالث المعتمد بالله، وأجلي من تبقى من بني أمية عن قرطبة ونودي في الأسواق والأرباض، لا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية، ولا يكنفهم أحد.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ١٥٠- ١٥٢.
أبو الفداء: المختصر، ج١،صك ١٤٧- ١٤٩.
ابن الخطيب: أعمال والأعلام، ص: ١٣٩.

(٢) وانضوت هذه الفرق الطائفية تحت أولوية ثلاثة أحزاب كبيرة:
- الحزب الأول: ويمثله أهل الأندلس، الذين صهرتهم البوتقة الأندلسية، ومنهم العربي، والمغربي، والصقلبي، والأسباني المسيحي، وعرف هؤلاء بأهل الجماعة.
- الحزب الثاني: ويمثله البربر، حديثو العهد بالأندلس، كبني زيري وبني حمود الأدارسة الحسنيون في غرناطة ومالقة.
- الحزب الثالث: ويمثله الموالي العامريون.
انظر التفاصيل: في المقتبس لابن حيان، ج٢١، ص: ٣٢-٤٩.
انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ١٥٨- ١٨٥، انظر الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٨.
انظر المقّري: النفح، ج١، ص: ١٩٨- ٤٨٢. ج٤، ص: ٣١٣- ٣١٤. انظر الأشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ٣١٠.

(٣) توحدت البلاد وانتهت الدويلات التالية: مملكة بني عباد في أشبيلية، وكانت أقوى الممالك، ومملكة بني هو في سرقسطة، مملكة بني زيري في غرناطة، مملكة بني حمود الأدارسة في مالقة والجزيرة الخضراء، مملكة بني ذي النون في طليطلة، مملكة بني الأفطس في بطليوس، وابن صمادح في المرية وغيرهم.
مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٨- ٢٠.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ١٢٥- ٢٦١.
ابن عبد البر: الكافي، ص: ٢٩.



الفصل الثاني

المرابطون ودخولهم إلى الأندلس

تمهيد:

المرابطون فخذ من قبيلة صنهاجة اللثام البربرية، ومن أشهرها لمتونة ومسوفة، وجدالة، ولمطة، كان موطنهم الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء، التي تعرف بصحراء شنقيط[1]، أو موريتانيا اليوم، هذا البيداء الواسعة التي تحدها من الشمال سجلماسة (جنوب المغرب)، وفي الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانا الحالية، ونهر السنغال، وفي الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشرق نهر النيجر. في تلك الأرض الشاسعة عاشت قبائل لمتونة البدوية، التي اتخذت من الرعي والتنقل مهنة تجهل ما عداهما، يدينون بالمجوسية، واسلموا على يد عقبة بن نافع أيام توغله إلى شاطئ المحيط[2]، وبقوا على هذه الحال حتى خرج فيهم، يحيي بن إبراهيم الجدالي، مهاجراً في طلب العلم، وعاد برفقته عبد الله ابن ياسين الجزولي، والذي أشرف على تثقيفهم وتدريبهم[3].

---

(١) معنى شنقيط: عيون الخيل باللهجة البربرية.
أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص: ٢٨٨، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (لا.ت).

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: ١٢٩، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط: ١٩٥٣.

(٣) ابن أبي زرع: الروض، ص: ١١٩- ١٢٣.
الحلل الموشية، ص: ١١-٢٠.
ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ٧-٧٠.
ابن خلدون: العبر، ج١، ص: ١٧٣، ١٨٣، ١٨٦.
ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص: ٣٢٨.
الناصري: الاستقصاء، ج١، ص: ٦، مج، تحقيق ولدي المؤلف.
جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥.

المرابطون دعوة ودولة:

قامت الدولة المرابطية، على أثر الانتفاضة الدينية الإصلاحية التي ألفت بين قلوب القبائل الصحراوية[1]، ووحدت صفوفهم بقيادة زعيمهم الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي وضع خطوطها الأولى، واستطاع بفضل خبرته وإخلاصه أن يخلق من تلك القبائل قوة سلفية، تعتمد مذهب مالك لحل مشكلاتها الدينية والدنيوية، بعيداً عن النزعة القبلية الضيقة[2]، وظلت تتسم بطابعها الديني معظم سني حكمها، حيث بقي الفقهاء الفئة المسيطرة على شؤون الدولة، وتوجيه الجيوش اللمتونية إلى الجهاد في المراحل الأولى من حياتها، واتخذ تسييرهم للبلاد أيام ابن تاشفين طابع الشورى الذي يصاحبه الحذر والتيقظ والعزم، غدا في عهد ولده علي نوعاً من التحكم والاستسلام الكامل لهم، ما دام ينقصه عزم أبيه لمغالبة هذا النفوذ الجارف[3]، وهكذا توطدت أركان الدولة اللمتونية، وأعطاها ابن تاشفين كياناً دولياً ثابتاً، وتحوّلت حكومته المركزية إلى إدارة طيعة في قبضته سخرها لخدمة أهدافه السياسية[4]، ومنها امتدت تلك السلطة، وضمت المغرب بأجمعه[5]، فأسس العاصمة مراكش[6]، وأخذ يستعد للسيطرة على

(١) اندرجت تحت هذا الاسم عدة قبائل تربو على السبعين، أشهرها قبائل لمتونة، ومسوفة، ولمطة، وجزولة، وهزرجة، وهذه القبائل صنهاجية، تنتمي إلى حمير وأصلها من اليمن.
ابن أبي زرع: الأنيس المغرب بروض القرطاس، ص: ١١٩- ١٢٣.
الحلل الموشية، ص: ١١-٢٠.
ابن خلدون: العبر، ج١١، ص: ٣٧٣، ١٨٣، ١٨٦.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٧-٧٠.
المقري: النفح، ج٤، ص: ١٩٣.
ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص: ٣٤٨.
الاستقصاء للناصري، ج٢، ص: ١.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٠.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٢٤.
(٣) المراكشي: المعجب، ص: ٢٥٢-٢٥٥.
(٤) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٤٢- ١٤٤.
(٥) بسط ابن تاشفين سلطته من تونس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن حدود الصحراء جنوباً إلى طنجة شمالاً.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٤٢- ١٤٤.
(٦) ابن عبد البر: الكافي، ص: ٢٩.=

الأندلس، طالما تيقن أن نصارى أسبانيا جادون للإجهاز على ملوك الطوائف[1]، وفي الوقت الذي كانت فيه بلادهم تعاني من التفكك السياسي والاجتماعي تحت حكمهم، شرع في تنفيذ مخططه من استنفار للقوات، وتجهيزها بالأسلحة، وبناء السلاح البحري، واحتلال الأماكن الاستراتيجية الشمالية المطلة على مضيق جبل طارق، مثل سبتة ومليلة وطنجة[2]، استعداداً للعبور، دعا ملوك الطوائف إلى اجتماع عام طارئ برئاسة المعتمد ابن عباد، واتفق المؤتمرون على مراسلة ابن تاشفين[3]، والاتفاق معه أولاً عن طريق التفاهم والحوار الهادف، فرد على رسالتهم الانفعالية بكتاب يحوي بين ثناياه الترغيب والترهيب[4]، وتعريض بملكهم، فضلاً عن تقديم الهدايا من الدرق اللمطية، التي لا

=ابن خلدون: العبر، ج٦، ص: ١٨٣.

وهناك مؤرخون آخرون يذكرون في تأسيسها غير ذلك.

انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٩-٢٠.

(١) الحميري: الروض العطار، ص: ٢٩.

الحلل الموشية، ص: ٣٣.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٤٢- ١٤٤.

الحلل الموشية، ص: ٣٧-٣٨.

(٣) ومما جاء في كتابهم إلى ابن تاشفين:

أما بعد فإنك أن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبنا داعيك نسبت إلى عقل، ولم تنسب إلى وهن، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك، فإنك بالمحل الذي لا يوجب أن تسبق فيه إلى مكرمة، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك، وثبوت لسلطانك والسلام.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص: ١١٣.

المقّري: نفح الطيب، ج٤، ص: ٣٥٤.

(٤) ومما جاء في رسالة ابن تاشفين إلى ملوك الطوائف:

بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين إلى ..... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من سالمكم، وسلم عليكم، وإنكم في أيديكم من الملك أوسع إباحة مخصوصين منكم بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم، واستصلحوا أخاءنا بإصلاح أخائكم، والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام.

ابن خليكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص: ١١٣.

المقّري: نفح الطيب، ج٤، ص: ٣٥٤.

تصلح إلا للطعان، علماً أن هذه الدرق نفسها هي التي هدد بها المعتمد الفونسو السادس (Al- Fonso VI) فيما بعد، عندما حاصر الأخير اشبيلية، مشيراً بذلك أنه سيضربهم بالمرابطين، لا شك أن تاريخ المغرب والأندلس يجعلنا ندرك تماماً، أن هذه القوة الفتية الطموحة، قوة المرابطين، ما كانت لتقف وجهاً لوجه أمام الأندلس دون مبالاة عند حدودها الشمالية، لأن منطق الأحداث التاريخية من قبل ومن بعد، يفرض عليها الانتشار والتوسّع عبر المضيق، وبخاصة بعد امتلاك المرابطين مدن ساحل المغرب الشمالي، والانتهاء من استعداداتهم العسكرية[1].

أوضاع المسلمين في الأندلس أبان ظهور دولة المرابطين، وخلافاتهم، ضعفهم، تعاونهم مع الأسبان:

رأينا في الفصل السابق، كيف سقطت الخلافة الأموية، وتأسست على أنقاضها ما يسمى بدول الطوائف (Petty King)[2]، الذين انتحلوا ألقاب الخلافة والإمامة[3]، واختطوا لدولهم حدوداً يضحون من أجلها، واستطاعوا أن يوهموا شعوبهم، ويقنعوا أنفسهم بخطأ الوحدة زمن تلك الدولة، التي انهارت لأسباب منها:

(١) الحلل الموشية: ص: ٣٧. وبعث المرابطون من يشتري لهم الأسلحة من الأندلس وسمي ذلك العام بعام اقتناء العدة واتخاذ السلاح، وقد عرفت الأندلس صنع الأسلحة، ولهم مصانع لهذا الغرض في أشبيلية والمرية، وكذلك كانوا يستوردون السلاح من أوروبا، ولا سيما من فرنسا لجودة سيوفها البردليات (نسبة إلى مدينة بوردو) وقد أشار المؤرخ الغرناطي ابن سعيد إلى شهرة هذه الأسلحة الفرنسية وإقبال الأندلسيين على شرائها.
المقّري: نفح الطيب، ج١: ص ١٨٨.

(٢) Dozy, Hist. Of Moslems in Spain, P. 699 Lewis, Islam in History, P. 1-2.

(٣) وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني:

مما يزّهدني في أرض أندلس	سماع معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

المراكشي: المعجب، ص: ١٠٥.
ابن حيان: المقتبس، ك ٢١، ص: ٢٧.
المقّري: النفح، ج١، ص: ١٩٨.
حتي: تاريخ العرب، ج٣، ص: ٦٣٨.

وجود طوائف شتى غير منسجمة في المجتمع الأندلسي، مع عجز الخليفة هشام الثاني المؤيد عن القيام بمهامه بصفته خليفة، وضعف الأسرة الأموية بشكل عام، علاوة على استبداد الحجاب العامرين منذ عام (٣٦٦/ ٩٧٧- ٣٩٩- ١٠٠٩) بالسلطة، وعدم إنجاب الخليفة المذكور ولياً للعهد كما لم يقم بتعيين من يخلفه من أسرته، فضلاً عن انبعاث العصبية القبلية من مرقدها، عندما انتقلت ولاية العهد إلى يمني هو عبد الرحمن بن أبي عامر (شنجول)، فعزّ على المضرية أن تنتقل الخلافة من قريش[1]، وهكذا انتهت الخلافة الأموية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فكان ذلك إيذاناً بانتهاء الدولة الإسلامية الموحدة، وفقدان الرابطة الجامعة لمسلمي الأندلس، التي ما انفكت تقف حاجزاً يسد جبال البرثات (Pirineos) في وجه التدخل الأوروبي، وقامت مكانها تلك الدول مهيضة الجناح[2]، آثرت حب البقاء، وشن الغارات ضد بعضها، والاستعانة بأعدائها دون مبالاة[3]، ولم تكد تنتهي تلك الحروب الدامية، حتى تشتعل مرة أخرى،

(١) المقّري: نفح الطيب، ج٢، ص: ٢٥٤- ٣٠١، ص: ٣-٧١.

(٢) وقامت على أنقاض الدولة الأموية دول اشتدت فيها الخصومة والاحتراب، حيث عمّت الفوضى جميع جوانب المجتمع الأندلسي، وجاوز التفسخ والانهيار العام مداهما، مما أغرى الجانب النصراني (الأسباني الأوروبي) للقيام بالإجهاز على وجود الإسلامي، الذي بدأ وكأنه فقد كل مقوماته، وعناصر وجوده، وتمثل هذا التصميم، ببث الوقعية بين زعماء القبائل العربية، وبدء الغزوات المكثفة على كل المواقع الإسلامية، وبخاصة الأماكن الاستراتيجية منها، بينما أمراء الطوائف استمرأوا الانفصال، وابتعدوا عن الوحدة، وأسموها هازئين مخرقة قريش.
أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١، ص: ١١-٣١.

(٣) فدارت حرب ضروس بين أمراء اشبيلية وقرطبة وبطليوس من جهة، وبين أمراء طليطلة وقشتالة (Castilians) (النصارى) من جهة أخرى، وأسفرت تلك الحرب عن انتصار الحلف الأول، وجني ثمرة هذا النصر أمير أشبيلية آنذاك المعتضد (Mu'tathid)، حيث غدر بحليفيه، وبخاصة بأمير قرطبة الذي خلعه ونفاه وأفراد عائلته إلى جزيرة شلطيش (٤٥٢/ ١٠٦٠).
شلطيش: مدينة بالأندلس قرب مدينة لبلة، وهي جزيرة يحيط بها البحر من كل ناحية، إلا مقدار نصف رمية حجر، وطول الجزيرة نحو ميل تقريباً، وهي قريبة من أونبة والمسافة بينهما أربعة أميال.
الحميري: الروض المغطار، ص: ٣٤٤، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ٢٥٥- ٢٦٣.
المراكشي: المعجب، ص: ١٩٥- ١٩٨.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ٥١- ٥٢.

وتظهر مراكز استقطاب جديدة[1]، وعلى الأثر اختل التوازن العسكري بين طليطلة (Toledo) وأشبيلية (Sevilla)، وصمم الطرفان على أن يسحق كل منهما الآخر، فاتجه المعتمد إلى الفونسو السادس، واستماله إلى جانبه بموجب معاهدة بقيت موادها سرية للغاية[2]، وبعد مصادمات عنيفة بين الطرفين، سارت الأمور في اتجاه غاية في الخطورة، ووضع مشروع الفونسو السادس (Al- Fonso VI)، طبقاً للمعاهدة السرية بينهما، موضع التنفيذ[3]، وأصبحت الطريق ممهدة أمام الفونسو لتنفيذ ما كان يتمناه، أبان إقامته منفياً في مملكة طليطلة[4]، وهكذا نتيجة لتعدد الإمارات والنزاعات المحتدمة، والاحتراب المستمر بينهم تبعاً لذلك، كانت تغيب المصلحة العامة بين ذلك الصراع الذي نجم عن الأنانية والأثرة العمياء التي سادت بين ملوك الطوائف، فذهبوا وذهب ما اصطرعوا عليه، ولم يبق إلا قسوة التاريخ، ولعنة الأجيال على توالي العصور.

وهكذا نتيجة لتعدد الإمارات والنزاعات المحتدمة بينهما، والاحتراب المستمر تبعاً لذلك، كانت تغيب المصلحة العامة بين ذلك الصراع الذي نجم عن الأنانية، والأثرة العمياء التي سادت بين ملوك الطوائف فذهبوا وذهب ما اصطرعوا عليه، ولم يبقَ إلا قسوة التاريخ ولعنة الأجيال على توالي العصور.

---

(١) حيث اشتبك المعتمد الذي خلف أباه (٤٦٢/ ١٠٧٠) في حرب مع الأدارسة، بينما بنو هود والتجيبيون في ولاية سرقسطة (Saragaza) الشمالية يحتدمون مع معارك مع جيرانهم النصارى في الوقت الذي كان فيه أمير طليطلة يصفي حسابه مع حلفاء أشبيلية، أميري مرسية (Murcia) وأريوله (Orihuela) وينتزع منهم أراضيهم بمساعدة القشتاليين النصارى (Costilians).
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ١٥٥- ٣٠٣.

(٢) حيث عقد المعتمد حلفاً مع ملك قشتالة (Castila) الفونسو السادس (Al- Fonso VI) ضد أمير طليطلة (Toledo)، وأبرم معاهدة كذلك مع إمبراطور برشلونة (Barcelona).
أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١، ص: ٦٠.

(٣) حيث كان المشروع ضمن المعاهدة السرية بينهما، أن اتفق الطرفان على أن يحتل الفونسو السادس طليطلة (Toledo) المعقل الإسلامي المنيع، ويقدّم بدوره جنداً مرتزقة من النصارى (Christians) للمعتمد لمساعدته في حربه ضد أعدائه المسلمين.
المرجع نفسه.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص: ٢٣٢.

سقوط طليطلة (٢٧ محرم ٤٧٨هـ-٢٥نيسان ١٠٨٥م):

أعلن الفونسو الحرب على طليطلة في عام ٤٧٢/ ١٠٧٩م، وذلك وفقا للمعاهدة السرية المعقودة بينه وبين حليفة أمير إشبيلية (المعتمد بن عباد)، ودامت الحرب أعواماً حتى تمكن الفونسو أن جرد القلاع المحيطة بها من كل واسطة للدفاع، ولم تجد تلك المدينة المنكوبة خلال هذه الفترة سوى قوات رمزية من حاضرتي بطليموس وسرقسطة، وحاول حاكمها القادر بن ذي النون أن يغامر بآخر سهم لديه لإنقاذ المدينة، ففرض ضرائب باهضة على شعبه وقدمها للفونسو يفتدي نفسه بها، لكن ملك قشتالة زاد غلوا وصلفا وطلب تسليمه الحصون المحيطة بالمدينة مع وجوب خضوع الأخيرة دون قيد أو شرط، فضلا عن المال(١).

وأخيراً استلمت طليطلة فهجرها سكانها المسلمون، واتخذها الفونسو حاضرة لملكه، بعد أن تلقب ملك الملتين(٢) انقياد لسياسة مستشارية الفرنسيين(٣).

وهكذا سقط التغر الأدنى، الذي سبب ضربة مذهلة اهتز لصداها المسلمون في مختلف جنبات الأندلس(٤) وتفرقوا أمام خصومهم النصارى(٥) وأخذوا يفكرون بهجر

---

(١) التفاصيل في ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٢٣٢.

(٢) دوزي: تاريخ مسلمي الأندلس، ج٣، ص ١٢ تر، حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٣.

(٣) أشباح: تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٣ وما بعدها.
المقري: نفح الطيب ، ج ٢، ص ٥٣٢، تح محي عبد الحميد، ط بولاق، القاهرة، ١٢٧٩ ومن الطريف أن نذكر أن (حسام الدولة ابن زرين) حاكم السهلة وعاصمتها شنتمرية الشرق جاء يهنيء الفونسو مع جملة المهنيئين من ملوك الطوائف بفتح طليلطة مقدما إليه أنفس الهدايا وأجودها ليقره عاملاً له في بلدة فرد الفوسو الهدية بهدية الى ابن رزين وكانت قرد يلعب أمامه وهه إياه ورجع ابن رزين مفتخراً بتلك الهدية وعدها من أعظم النعم.
شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج (ص ٤٢٨) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لا ، ت، دوزي تاريخ الأندلس الإسلامي، ج ٣، ص ١٢.

(٤) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج ١، ص ٤٢٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٨، تسعة أجزاء القاهرة، ١٩٤٨، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

بلادهم جنوباً الى ما وراء البحار[1] وتفرقوا أمام خصومهم النصارى[2] وكان لهم في استسلام أميرها المسلم وهيامه على غير اتجاه أسوأ مثال في تأثيره السلبي على معنوياتهم مما شجع الفونسو على المضي قدماً في فتوحاته، وانتشار قواته في كل اتجاه، واحتلاله جميع القلاع المتبقية، وبخاصة الأمير ابن عباد، ليبقى لهم السهل[3] في الوقت الذي كان يحاصر فيه سرقسطة (الثغر الأعلى) ويجتهد في إسقاطها وأضحت مهددة بمصير كمصير اختها طليلطة. عندها وعى الأمراء القاسطون خطر السياسة التي اختطوها تجاه الفونسو من مهادنة وشراء أمنهم ومسالمته بالمال[4]. أيقنوا بعد فوات الأوان عاقبة تشرذهم ولأول مرة اجتمعت كلمتهم على وضع حد الأطماع القشتاليين النصارى.

فتراءات لهم ثلاثة حلول: أما الرحيل عن الأندلس[5] أو الخضوع للنصارى وهذا ما لا طاقة لهم به وإما الاستجاد بالمغاربة المرابطين، واختاروا بعد لأي الرأي الأخير.

وبات الناس يترقبون نهايتهم الحتمية والأنهيار الكامل لوجودهم حتى لاح لهم الفرج بدخول اللمتونيين شبة الجزيرة[6] يقودهم ابن تاشفين في لقاء الزلاقة (Zallaka Sacralias) ويبدو أن نتائج هذه الكارثة تخطت كل التصورات، وبها يرتبط الانعطاف

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) قال شاعرهم ابن عسال الطليطلي:

شدوا رواحلكم يا أهل أندلس	فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى	ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا	كيف الحياة مع الحيات في سفط

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٨.

المقري: نفح الطيب، ج٢، ص ٥٣٢.

أشباح: تاريخ الأندلس، ج١، ص ٦٥-٦٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٣٨، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

ابن خلكان، الوفيات، ج٥، ص ٢٨

(٤) التفاصل في أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص ٧٤-٧٦.

(٥) وعبر ابن عسال عن ذلك أدق تعبير حيث قال:

انترك دورنا ونفر عنها	وليس لنا وراء البحر دور

(٦) المراكشي: المعجب، ص ١٣٧-١٣٨.

الخطير في التاريخ الأندلسي، فأدى إلى دخول المرابطين، ثم إلى سقوط دول الطوائف واندثارها.

معركة الزلاقة:

تعتبر هذه الموقعة فيصلا بين عهدين، عهد التفسخ والانحلال والفرقة، الذي عم جميع مظاهر الحياة في دول الطوائف، وعهد إعادة الأمور إلى بعض ما كانت عليه[1]. ولطالما أخذ الأسبان في هذه العهد يتلاعبون بمصائر عرب الأندلس[2]، فطرح هؤلاء إلى حين خلافاتهم وأعمالهم الحربية ضد بعضهم، واستنجدوا بالمغاربة المرابطين[3]. وعلى الرغم من التحفظ الذي أبداه بعضهم تجاه ذلك[4]، لبى المرابطون الدعوة بعد أن فتحت لهم الجزيرة الخضراء أبوابها لتكون مركز انطلاق لجيوشهم في الذهاب والإياب[5]، فعبرت عساكرهم ثغر المجاز سبتة، مخترقة البحر إلى الأندلس[6]. وحينما علم الفونسو أخبار هذا الغزو رفع الحصار عن سرقسطة، وأعلن التعبئة العامة، واستنجد بملوك أراجون، وبنبولنه، ووفد في الوقت نفسه لنجدته سرايا من فرنسا وما حولها[7]، تجمعات

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٤٢، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨٨.
ابن الخطيب: الإحاطة ج ٤، ص ٣٤٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٨.
المقري: النفح، ج ٤، ص ٣٥٦.

(٣) ابن عذارى: البيان المقرب، ج٤، ص ٣٥٦.
الحلل الموشية: ص ٤٥، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

(٤) ظهرت نتيجة ذلك نظريتان متعاكستان، نظرية الأكثرية ويتزعمها ابن عباد وفيها طلب الاستنجاد بالمرابطين، ونظرية الأقلية وفيها أبعاد أي تدخل أجنبي ويتزعمها عبدالله بن سكوت والى مالقة واستبعدت هذه الأخيرة.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج ١، ص ٧٤.

(٥) الحلل الموشية: ص ٥٠.

(٦) الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨٨، وما بعدها.

(٧) أشباخ : تاريخ الأندلس، ج١، ص ٨٤، وما بعدها.

المسلمين، فالتقى بهم الى الشمال من بطليموس في مكان متسع من الأرض تسمية الراوية العربية (فحص الزلاقة) ويعرف اليوم (Sargajas)[1].

تسلم ابن تاشفين القيادة العامة للمسلمين في هذه المعركة، الذي قام بتعبئة الجند، ففي الطليعة فرسان المرابطين[2] بقيادة ابن عائشة[3] (الكماندوز) وتليهم قوات الأندلس بقيادة المعتمد بن عباد في القلب، وابن الأفطس في ميمنتها وأهل شرق في ميسرتها، وعامة أهل الأندلس في المؤخرة هذا عدا جيش المرابطين الاحتياطي، بقيادة أمير المسلمين نفسه[4] وتبودلت الرسائل بين الزعيمين المتحاربين[5] اللذين بدأ القتال في يوم الجمعة (١٢ رجب ٤٧٩/ ٢٣ تشرين أول ١٠٨٦) وأبلى الجيشان المتقاتلان في هذه المعركة ضروباً نادرة من البسالة والإقدام وانتهت بهزيمة مدمرة لجيش الفونسو الذي ولى هارباً

---

(١) ابن خلكان: الوفيات، ج ٥، ص ٢٩.

(٢) الحلل الموشية، ص ٥٩.

(٣) ابن عائشة: هو داود كل من أشجع قادة يوسف وأصبرهم، وهو قائد ما يسمى اليوم بالقوات الخاصة أو الكماندوز.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ١٣٦.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج ١، ص ٥٨.
الحلل الموشية: ص ٥٥٣، وما بعدها.

(٥) ومما جاء في رسالة يوسف إلى الأذفونش: (الفونسو السادس).إنك دعوت الله إلى الاجتماع بك، وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا، فقد اجتزنا إليك، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (الرعد: ٣٤).
فعندما قرأ الفونسو الكتاب استشاط غضبا وقال: أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي نغرم الجزية لأهل ملته منذ ثمانين سنة، وأقسم أن لا يبرح من مكانه الذي نزل فيه، وقال: يزحف الى فإني أكره أن ألقاه قرب مدينة تعصمه، وتمنعني منه فلا أشفي بقتله، ولا أبلغ أملي منه، بيني وبينه هذا البسيط المتسع.
الحلل الموشية: ص ٥٣، وما بعدها.
ابن خلكان، الوفيات، ج٧، ص ١١٦.
ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ١٢٣.
أشباخ، تاريخ الأندلس، ج١، ص ٨٥.

بصحبة خمسمائة جريح تساقط غالبيتهم في الطريق قبل أن يصل طليلطة[(١)] وانكفأ أمير المسلمين عائداً إلى بلاده بينما رجع ابن عباد يحمل جروحه إلى إشبيلية.

نظرة إلى معركة الزلاقة:

تعتبر هذه المعركة مساوية لحطين والقادسية واليرموك من حيث العمق الاستراتيجي والاستعدادات الكافية[(٢)] وكانت حاسمة طالما استعمل ابن تاشفين ضروباً من الخطط الحربية والأسلحة المتطورة وصدق النية لما لم يرق إليها غيره[(٣)] وعلى الرغم من ذلك لم تصل تلك المعركة إلى مستوى الخطة الموضوعة، فلم تكن نتائجها كما كان متوقعاً ومن هذا المنظور يمكننا أن نتساءل عن الأسباب التي حالت دون ذلك؟ ولماذا لم يلاحق يوسف الفونسو وهو قريب المنال ويقضي على خطره نهائياً؟ وكان هذا ممكناً ولن يكلفه شيئاً[(٤)] ورفض يوسف ومن ورائه الصحراويون متابعة الفونسو الهارب تحت جنح الظلام رغم إصرار ابن عباد على تصفية آثاره والخلاص منه، وهذه المشادة مع الإلحاح

---

(١) .Dozy, Hist of the Moslems in Spain, p. 698
المراكشي: المعجب، ص ١٩٨.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ١٤٧، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣.

(٢) الحلل الموشية: ص٦٦.

(٣) ومن هذه الأسلحة والخطط إدخاله الجمال لأول مرة الى شبه جزيرة الأندلس فكان وجودها حاسماً في المعركة بالنسبة لخيالة الأعداد فضلاً عن إدخاله الطبول الكبيرة واستعماله الخناجر المعقوفة التي أذعرت الفونسو وأصابت منه موجعاً وبقى يخمع من أثرها طوال حياته، وأصل يوسف حربه على طريقة الثوار وابتدع الكمائن المتفرقة، واستطاع أن ينفذ الى نفوس النصارى ويسبر غورهم فمنا هم بالنصرة تارة، وأرهبهم تارة أخرى، فواصلوا القتال حتى أفناهم عن آخرهم فهذه خلال لا يتصف بها إلا القليل من الرجال على مر العصور.
الحميري: الروض المعطار، ص ٨٤، وما بعدها.
ابن عذارى: البيان، ج ٤، ص ١٣٠.
الحلل الموشية: ص ٥٩-٦١.
ابن خلكان: الوفيات، ج ٧، ص ١١٨.

(٤) .Dozy: Hist of the Moslems in Spain, p. 698, London, 1913

كانت أحد أبرز هموم يوسف[١] حيث تركت في نفسه تساؤلات، لم يجعله في موقع للتعبير عن رأيه بطريقة مقنعة[٢].

وظلت تلك الهموم تصاحبه حتى استصفى ملوك الطوائف فضلاً عن أزمة الثقة التي سادت بين أمير المسلمين والأندلسيين[٣] يتضح أنه كان كذلك منذ البداية، لذا لم يدخل ابن تاشفين شبة الجزيرة حتى سيطر على الجزيرة الخضراء (الخزيرات) لتكن موطئ قدم ونقطة ارتكاز لجيشه في الذهاب والعودة، ولو لاحق ابن تاشفين الفونسو إلى قلب بلاده لعد متهوراً، ولم ترسخ أقدامه في الجنوب بعد، بالإضافة إلى أنباء مزعجة كانت قد وصلت بوفاة أبي بكر ابنه، وقدوم أبي بكر ابن عمه إلى المغرب وهو صاحب السلطة الشرعية[٤] فيها ولطالما رأى من شدة شكيمة (الفونسو) قوة بأسه وصموده فلم

(١) يقول الحميري في روضة "ولما انحاز الطاغية بشرذمته، جعل ابن عباد يحرص على اتباع الطاغية وقطع دابره فأبى ابن تاشفين واعتذر، وابن عباد يرغب في استعجال إهلاكه، ويقول: أن فر أمامنا لقيه أصحاب المنهزمون فلا يعجزون عنه ويوسف مصر على الأمتناع عن ذلك".

(٢) حيث جاء في الحلل الموشية: "ففر (أي الفونسو) وسيوف المسلمين تتعقبه حتى ألجأوه الى ربوة عالية، اعتصم بها لتعذر مرقاها وأحدقت به الخيل، فقال لهم أمير المسلمين يوسف، الكلف إذا أرهق لا بد أن بعض" وكلن اتركوهم ولاحظوا حالهم، وبدأ ابن عباد بالإلحاح على أمير المسلمين لملاحقة الفونسو للقضاء عليه، فأبى ابن تاشفين واعتذر بأن قال: إن اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا المهزومين راجعين إلينا منصرفين فيهلكهم، بل نصير عليه بقية يومنا حتى يرجع إلينا أصحابنا ويجتمعوا بناء، ثم نرجع إليه فنحسم داءه»، وابن عباد يرغب في استعجال هلاكه، ويقول: إن فر أمامنا لقيه أصحابنا المنهزمون، فلا يعجزون عنه، ويوسف مصر على الامتناع من ذلك، ولما جاء الليل تسلل ابن فرذلند (الفونسو) وهو لا يلوى على شيء وأصحابه يتساقطون في الطريق واحداً بعد الواحد من أثر جراحهم وقال آخرون كلا الرجلين أسر حسوا في ارتغاد".
الحلل الموشية: ص ٦١-٦٢.

(٣) لذلك وضع يوسف الأندلسيين في مقدمة جيشه أثناء المعركة، لأنهم أكثر خبرة بحرب النصارى، وليكون كذلك رقيباً عليهم، لذا لم ينجدهم إلا بعد أن استحر فيهم القتل وولوا هاربين لينفث في روعهم أنهم أحوج الناس إليه في الملمات.
ابن عذارى: البيان، ج١، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) ابن أبي زرع: القرطاس، ص ١٥٢.

يشأ أن يزج بالصحراويين في أرض يجهلونها[1] لملاحقة خصم لم يكن ضعيفاً مثل لذريق في بداية فتح العرب لأسبانيا.

لهذا تبين أن المرابطين كانوا هم العقبة الكأداة المطروحة أمام النصارى والمخطط البابوي، الذين أوقفوا اندفاعهم لتستمر المسيرة الأندلسية بعض من السنين.

وكان من الممكن أثر هذه الوقيعة، إذ تتجذر قوة المرابطين بالأندلس غير أنها لم تتجاوز الستين عاما إلا قليلا ودخل على أثرها الموحدون إلى الأندلس[2] ولكي نتصور نهاية دول المرابطين لنفكر بشعب آخر جديد على مسرح البحر المتوسط، الأتراك السلجوقيين، فإن انتصار معركة ملازكرد Manzikerts سنة ١٠٧١هـ-١٦٦٠م يمكن مقارنته بنصر الزلاقة.

وأصبح مصير الإمبراطوريتين مع ذلك متبايناً ليس لكون المرابطين كانوا في الغرب حيث كانت الشعوب النصرانية في كامل استعدادها، وليس في الشرق حيث كانت بيزنطية تعاني موتاً بطيئاً ولكن كذلك لأن السلاجقة كانوا يملكون ظهيراً لهم هو الاحتياط الكبير من الشعوب التركية التي كانت تتمكن دائماً إمدادها بالجيوش وتعزيز قوتهم بالمال، وكذلك الرأي العام الإسلامي الذي انحاز بكلتيه إلى جانب المنافحين الجدد عن الإسلام.

غزوة لبيط أولييط (Aledo)[3] ١٠٨٨/٤٨١:

هذا الحصن شيّده الفونسو (Al Fonso) السادس ملك قشتالة بعد أن كان قد استولى على طليطلة (٤٧٨/ ١٠٨٥)، في بقعة شرق الأندلس وشحنة بالسلاح وأمده

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤، ص ١٣٩.
وقد قيل: قتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً خابرها.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص ٦٤-٦٦.

(٣) لبيط: هو حصن منيع في وسط بلاد المسلمين بين مرسية ولورقة بقيادة غرسيه خيمنث.
ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص: ١٩٣.
ياقوت: معجمه، ج٧، ص: ٣٩١.
ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص: ١٩٧.

بالجيوش، واتخذ منه قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية في تلك الجهات[1]، واستمر في العيث والتخريب إلى ما بعد الزلاقة (Zallaka) التي لم يكن في مقدور هـذه الهزيمة أن تبعث إلى قلبه يأسا ولا قنوطاً[2]، بل شحذت همته من جديد في حشد جيش ضخم أثناء غياب ابن تاشفين في بلاد المغرب، وأرسل سرايا من قبله لمعاونـة الفرسـان النصـارى في الشرق بقيادة الكنبيطور (المبارز)[3]، وانضم إليهم فرسان حصن لبيـط[4]، يـغيرون علـى مدن المرية ومرسيه وبلنسية، وجميع الأماكن في تلك الأنحاء، وخطر للمعتمد أن ينقذ هذه الأماكن بعيداً عن مساعدة أحد من الأمراء، لكنه اضطر للفرار مضحياً بسـمعته وخـبرة جنده، مما يدل على أن الزلاقة (Zallaka) لم تمح إلى الأبد الآثار العميقة التي خلفتها تلك العهود في نفوس أولئك الأمراء، الذين لم يعد همهم في الحياة إلا أن يعيشوا لساعتهم[5]،

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص: ٣٥٢.
ابن أبي زرع: الروض، ص: ١٥٤.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٤١.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص:٩٤.

(٢) سقطت طليطلة بيد الفونسو السادس بتاريخ (٢٧ محـرم ٤٧٨/ ٢٥ نيسـان ١٠٨٥ كـانت معركـة الزلاقة الحاسمة على أثرها في يوم الجمعة ١٢ رجب ٤٧٩/ موافـق ٢٣ تشـرين الأول ١٠٨٦) إذ هزم فيها الفونسو والقشتاليون هزيمة نكراء.

(٣) يذكره أشباخ باسم الكمبيادور (Campea dor) أو الكمبيدكتوس (Campidoctus) تعني القائد الكبير.
أما الروايات العربية تسـميه السـيد الكمبيـادور (Cid il Campeador) أو رذريـق الكنبيطـور أو القنبيطور ومعناها صاحب الفحص.
أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١، ص: ٩٤.
ابن الآبار: الحلة السيراء، ص: ١٨٩.
المقري: النفح، ج٢، ص: ٥٧٧.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٣٧، حيث يقول فيه شعراً لأحد شعراء بلنسية:

قولـوا للذريـق أن الحقـد قـد ظـهرا ... أو نقـدوه إذا مـا طـيره زجـرا
سـيوف صنهاجـة فـي كـل معـترك ... تـأبى لا طيـارة أن تصـدق الخـبرا

(٤) ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٥.

(٥) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ٩٤، وما بعدها.

لذلك واصل الفونسو (Al - Fonso VI) حشد الجيوش بسرعة فائقة، التي تشكل القوات الأوروبية من فرنسيين، ونورمانيين وما وراء نهر الراين جانباً كبيراً منها[١]، لخوض المعركة النصرانية ضد مسلمي الأندلس، ولم يمض عام بعد على نصر الزلاقة، فكان الفونسو على رأس هذا الجيش اللجب الذي أمعن في الضغط على المسلمين وألح في مطاردتهم تعززه فرسان حصن لبيط (Aledo)[٢]، أمام هذا التحالف الخطر توجهت نداءات أمراء الطوائف إلى ابن تاشفين بالمغرب تحثه للقدوم لإنجادهم[٣]، فعبر يوسف البحر بجيوشه مخترقاً أرض الأندلس حتى وصل إقليم مرسيه (Murcia) عند حصن لبيط (Castle Of Aledo)[٤]، فضرب ابن تاشفين طوقاً حوله بمشاركة قوات الأندلس، وهو من أحد أقوى معاقل أسبانيا، وكان الأمير العربي متعطشاً لفتحه لذا استخدم وسائل حصار متطورة لضربه والضغط عليه، وهو في غاية من المناعة والصمود[٥]، وفجأة تقرر

---

(١) المرجع نفسه.
Watt& Cachia, A hist, Of Islamic Spain, P. 98.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص: ١٤٢.

(٣) فعبر بعض الأمراء المضيق، وتقابلوا مع يوسف، وشكوا إليه خطر هذا الحصن لتوسطه في بلاد المسلمين، ومناعة أسواره، وقد أسر المعتمد إلى ابن تاشفين خبرا مفاده، أن أصبح قائد المرابطين بالأندلس في قطيعة تامة من جراء التفرقة السائدة بين الأمراء هنالك، فوعدهم بالعبور، وطلب منهم إعداد العدد وتجهيز السلاح، والإكثار من آلات الحصار، انظر الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٠٩.
انظر ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٢.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٥٢.

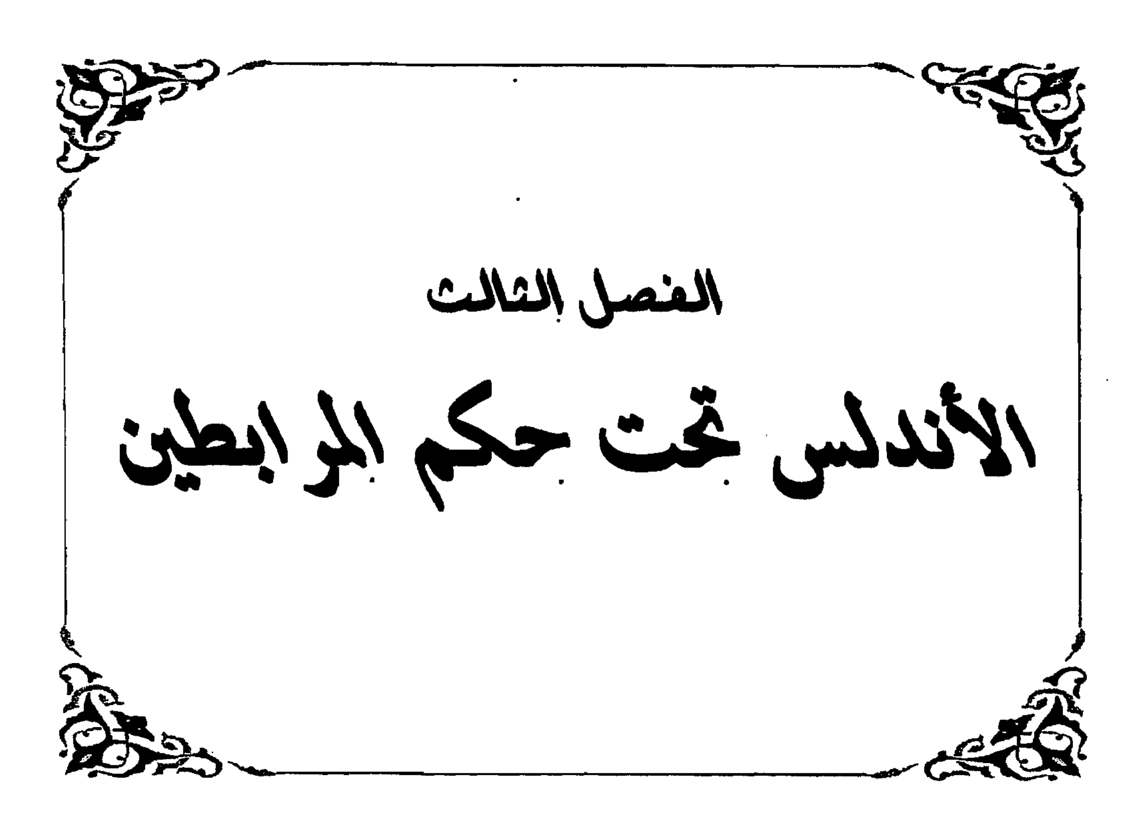
(٤) وفعلاً خف الأمراء للانضمام ليوسف بجيوشهم من كافة جهات الأندلس وغص المعسكر بالجند المحيطة بحصن لبيط، واستمرت الحرب متواصلة ليلاً مع نهاراً، شهراً، وأربعة أشهر في رأي آخر، يقاتل فيها كل أمير مع قواته منفصلاً عن غيره مداولة بينهم.
ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٢ وما بعدها.
الناصري: الاستقصاء، ج٢، ص: ٥٢.
ابن أبي زرع: الروض، ص: ١٥٢.
الحلل الموشية، ص: ٦٩- ٧٠.

(٥) مما يدل على قدرة صمود المدافعين المحصورين.
ابن أبي زرع: الروض، ص: ١٥٢- ١٥٣.
ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٢ وما بعدها.

رفع الحصار عنه بحلول فصل الشتاء، وفي وسط هذه الإجراءات، حصل تمـرّد في الجيـش الإسلامي، فـانفصلت قـوات مرسـيه، وأعلنـت الثـورة والعصيـان، وفـرت إلى الجبـال، ومنعت وصول الإمدادات العسكرية والغذائية إلى باقي الجيش، بعـد أن اعتقـل ملكـهم ابن رشيق (Ibn Rashik) لثبوت تعاملـه مـع النصـارى[١]، وفي هـذه الأثنـاء تنـاهى إلى مسامع يوسف تحـرّك الفونسـو لإنقـاذ الحصـن، فلـم يشـأ مواجهتـه والاصطـدام معـه، فانعطف إلى الجنوب جهة لورقة والمرية، ولم يجد ما يشجعه على البقاء، فعـاد أدراجـه إلى المغـرب، وفي نفسـه تصميـم وعـزم لا نـزال الضربـة المناسـبة بملـوك الطوائـف (Petty King)[٢].

(١) وفعلاً ثبت تعامل المذكور سراً مع الفونسو، حيث كان يمد الحصن بالمؤونة والسلاح، فقبض عليـه وزج به في السجن مقيداً.
الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١١٢.
ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٢ وما بعدها.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٥٢.
الحلل الموشية، ص: ٦٩- ٧٠.
ابن خلدون: العبر، ج٧، ص: ٣٨٨.
See: Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain. P. 700- 706.
أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١، ص: ٩٦.

(٢) ولقد تكشفت لابـن تاشـفين طبيعـة الأمـراء المنحرفـة، وجنوحـهم للنصـارى، ونيـة العصيـان في نفوسهم جميعاً، ظناً منهم أنهم مانعتهم حصونهم، ولذلك أدرك أن استدعاءه لمحاصرة حصن لبيط، كان معناه تهديداً له أكثر منه استنجاد، وتلقينـه درسـاً، أن بـلاد الأندلـس ذات حصـون ومعـاقل صعبة المنال لكل من يفكر باجتياحها، وامتلاك أراضيها.
الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١١٢.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٤٢ وما بعدها.
See: Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain, P. 707.



الفصل الثالث

الأندلس تحت حكم المرابطين

تمهيد:

عاد ابن تاشفين بعد نصر الزلاقة إلى المغرب، تاركاً سير بن أبي بكر يمثله في غيابه، لملء الفراغ العسكري بعد التفريغ الذي انتاب أسبانية أثر المعركة، غير أنه بدا يبث هموماً إلى أمير المسلمين، بدأت تظهر مجدداً، لتثير حالة نفسية في الأندلس شبيهة بأجواء ما قبل المعركة، وبدأ أمراء الطوائف يشعرون بثقل وطأة المرابطين، عله يكون مسوغاً لجنوحهم ثانية إلى النصارى، مستهدفين طرد أولئك الأفارقة المنقذين، وكان أمير المسلمين شديد القلق، وهو يتلقى تلك الأنباء، فعبر البحر إلى الأندلس على رأس جيش تم انتشاره دون استدعاء من أحد، ليقف بنفسه على مجريات الأمور.

علاقة المرابطين بملوك الطوائف:

على أثر انهيار الدولة العامرية (٣٩٩/ ١٠٠٩) وانقسام الخلافة الأموية إلى طوائف تزعم لنفسها الاستقلال والسلطة المطلقة، ولا تربطها بجاراتها أية رابطة سلمية، بل الحرب الأهلية الانتحارية كانت هي الأساس الذي استند عليه عصر الطوائف[١]، في فترة تاريخية من أشد الفترات التي مرّ بها المسلمون حرجاً وضيقاً، إذ ثارت ثائرة النصرانية على الإسلام في كل مكان، فالحملات الصليبية في الشرق تهز كيان الخلافتين العباسية والفاطمية، وهي في صورة أخرى تحاول ابتلاع الأندلس، وفق مخطط بعيد المدى لقذف المسلمين بعيداً خارج شبه الجزيرة، وكان العقل المدبر لهذه من أمثال الفونسو السادس، ومن جاء على أثره، تؤيدهم حملات صليبية بدعوة من البابا[٢]، وفي هذا الجو المفعم بالأسى طلب الأندلسيون النجدة والعون من المرابطين، منذ وقت مبكر قبل سقوط طليطلة ببضعة أعوام[٣]، وأن سقوطها لم يكن إلا عاملاً جديداً في دفع هذا الاتجاه وإذكائه، غير أن هذه الفكرة لم تكن دون توجس وتخوّف من العواقب، فقد كان بين

---

(١) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص: ٦٥.

(٢) راجع أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٢٦- ١٣١.

(٣) راجع روض القرطاس، ص: ١٤٢- ١٤٣.

الحميري: الروض المعطار، ص: ٨٥.

ملوك الطوائف من يخشى عواقبها، ويحذر ابن عباد مغبة سياسته، فأجابهم بكلمته المأثورة: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[1]، بهذه النفسية استدعى أمراء الطوائف عاهل المغرب، والذي توّج جبينه بنصر الزلاقة، وتم الاحتفاء به في أشبيلية بضعة أيام، لاحظ خلالها ما يحيط بالمعتمد من أسباب النعمة ومتارف الحياة[2]، وحاول الأخير الغدر بضيفه[3]، لكنه لم يجد تسويغاً مقبولاً لدى مستشاريه المقربين، وعاد منقذ الأندلس إلى بلاده، فقد كوّن في مخيلته صورة متكاملة واضحة لأمراء الطوائف[4]، ويبدو أن كلا الطرفين لم يستطع إخفاء ما يريد[5]، لأن تلاسنا وقع بين أمير المسلمين وقاضي المرية، الذي فوّضه شعب المرية ليتحدث باسمهم حول طلب يوسف المال لتسديد خسائر المعركة[6]، فكان هذا أول الخلاف:

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٣٢.
الحلل الموشية، ص: ٤٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص: ١٢٢.

(٣) ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٧، ص: ١٥ وما بعدها.
المقّري: نفح الطيب، ج٤، ص: ٣٧٥ وما بعدها.

(٤) يوضح المراكشي في كتابه المعجب على لسان يوسف فيقول:
(إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وأعمالهم للغزو، وتواكلهم وتخاذلهم، وإيثارهم الراحة، إنما همة أحدهم كأس يشربها، وقينة تسمعه، ولهو يقطع به أيامه؛ ولئن عشت لأعيدّن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة إلى المسلمين، ولأملأنها عليهم - يعني الروم- خيلاً ورجالاً لأعهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش)، وإنما هم أحدهم فرس يروضه ويستفرهه، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته...".
عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: ٢٤٠- ٢٤٢.

(٥) "يسر حسوا في ارتغاء" مثل يضرب لمن يريد أن يعينك يقصد النفع لنفسه، كشأن من يؤتي بوعاء من اللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة لا يريد غيرها، وهو في أثناء ارتغائه يحسو اللبن جرعة جرعة.
المراكشي: المعجب، ص: ١٩٦.

(٦) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٤، ص: ٤٤٧- ٤٤٨.

العبور الثالث ليوسف بن تاشفين (٤٨٣/١٠٩٠):

كان اجتيازه هذه المرة بقرار خاص منه، اتخذه للقضاء على جذور الصراعات الطائفية واقتلاع عوامل البغضاء من المجتمع الأندلسي[١]، الذي أراده متحداً، ينضوي تحت لواء حكومة مركزية واحدة، يكون هو على رأسها، ومن البواعث التي حملته على اتخاذ هذا القرار، اختلال أحوال أمر الطوائف، وما نقلته الأنباء أن هؤلاء الأمراء ضربوا حصاراً اقتصادياً على جيشه المرابط على الثغور الأندلسية بقيادة سير بن أبي بكر[٢]، ممالأة لنصارى الشمال[٣]، فتأثر لهذا تأثراً بالغاً، وثمة سبب آخر يورده المعجب، وهو لتوسيع رقعه بلاده[٤]، وهناك باعث دفاعي واستراتيجي: لتأمين خطوطه الأمامية المتراجعة لجناح دولته من الشمال[٥]. لذلك عبر يوسف البحر متجهاً نحو طليطلة مشيعاً الرعب والفزع في قلوب النصارى، وفجأة ارتد بفيلق من جيشه صوب مدينة غرناطة[٦]،

---

(١) راجع المراكشي: المعجب، ص: ٢٠١- ٢٠٣.
ابن أبي زرع: الروض، ص: ١٥٣.
Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain, P. 706.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص: ١٨٧.
ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص: ٥٤.

(٣) كان هذا هو موقف عبد الله بن بلقين أمير غرناطة، والمعتمد وأمير بطليوس.
مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٢٧.
المراكشي: المعجب، ص: ٧٤.
المقري: النفح، ج٢، ص: ٥٣٣.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص: ٤٠.

(٤) يذكر المعجب، أن يوسف قال مرة لجلسائه: كنت أظن أني قد ملكت شيئاً فلما رأيت تلك البلاد -يعني الأندلس- صغرت في عيني مملكتي، فكيف الحيلة في تحصيلها..
راجع المعجب، ص: ٢٠٣- ٢٠٤.
ابن خلكان: الوفيات، ج٢، ص: ٤٠.
المقري: نفح الطيب، ج٢، ص: ٥٣٣، ج٢، ص: ١١٩.

(٥) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: ١٤٨.
روض القرطاس، ص: ١٤٣ وما بعدها.

(٦) الحلل الموشية، ص: ٧١.
ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص: ٣٨٠- ٣٨١.

فاستقبل استقبالاً شعبياً حاراً[1]، وأمام هذا الضغط الشعبي، فلم يسع عبد الله أمير المدينة، وأخوه تميم أمير مالقة، أن خضعا لابن تاشفين، وأجبرا على التوجه منفيين إلى مراكش[2]، وهكذا يبدوا أن تدخل المرابطين في احتلال غرناطة كان هو السبب المباشر للتنافر الواضح الذي أصبح تتسم به علاقات المرابطين بأمراء الطوائف، لذا لم يلق الأمراء الذين وفدوا على أمير المسلمين للتهنئة إلا الأعراض والجفاء[3]، مفضلاً العودة للمغرب على عجل، فبادر بإعلانه التعبئة العامة، واستنفار كل من قدر على حمل السلاح، ودفع بهم إلى الأندلس على شكل فرق متتابعة، وفوض القيادة العامة لقائده سير بن أبي بكر، وبقي هو في سبتة يتابع الحوادث عن كثب[4]، فسير فرقة إلى قرطبة، وأخرى إلى المدينة رندة، وثالثة لمحاصرة المرية، ورابعة بقيادة سير، بالإضافة إلى القيادة العامة، إلى اشبيلية[5].

بدء المعارك:

كان على الجيوش المرابطية التي دخلت الأندلس، أن تتهيأ لتقاتل على جبهتين، أمراء الطوائف أولاً، وحلفاءهم من النصارى ثانياً[6]، فبدأت طلائع المرابطين بقيادة سير مغيرة على مدينة طريف، فاحتلتها، ومن ثم اتجهت شمالاً نحو اشبيلية، فضربت حصاراً

(١) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٥١.

(٢) المصادر نفسها.

راجع ابن خلدون: العبر، ج١١، ص: ٣٧٠.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٦٧.

راجع أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ٩٨.

(٤) الحلل الموشية، ص: ٧٢.

النويري : نهاية الأرب، ج٢٢، ص: ١٨٢.

ابن خلكان: الوفيات، ج٢، ص: ٣١.

(٥) الحلل الموشية، ص: ٧٢.

ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص: ١٥٥.

المعجب، ص: ٢٩.

Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain, P. 713.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص: ٣١.

حولها، غير أن ابن عباد فضل التريث والانتظار، قبل أن يخوض المعركة الحاسمة معهم[1]، بينما استطاعت القوات المغربية الأخرى، احتلال جيان وقرطبة وأبّدة، وبيّاسة، وشقّورة[2]، وحصن البلاط والمدوّر وقلعة رباح وقرمونة، وتم الاستيلاء على معظم أراضي اشبيلية، ما عدا رندة واشبيلية نفسها (٤٨٤/ ١٠٩١) فشرع سير بالضغط على اشبيلية بهجمات عنيفة ومتكررة، عانى خلالها ابن عباد محنة قاسية لم يتعرض لها من قبل، وخيّر بين الاستسلام أو الحرب، فاختار الشرط الثاني على أثر نجدات نصرانية وصلته[3]، انتصر عليها سير، واقتحم اشبيلية بعد حصار دام أربعة أشهر[4]، وألقي القبض على المعتمد، وسيق أسيراً إلى أغمات[5]، ومن ثم احتلت القوات رندة، والحصون الأخرى، وفي الوقت الذي سقطت فيه اشبيلية (Sevilla) كان ابن عائشة[6] قد بادر إلى التحرّك نحو معاقل الأمراء في شرق الأندلس، قبل أن تضغط عليه عوامل أخرى من الخطر ماثلة أمامه، وهو القائد الذي يحسن توقيت المعارك مع خصومه، فاستولى بصورة مفاجئة على المرية[7]، ودانية وشاطبة ليواجه التحالف المعقود بين أمراء شرق

(١) كان ينتظر ابن عباد نجدات النصارى في طريقها إليه لمعاونته.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٥٥.
المراكشي: المعجب، ص: ٢٥.
(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: ١٥٤.
الناصري: الاستقصا، ج٢، ص: ٥٤.
(٣) ذكران عدد هذه المعونة ستون ألفا.
الحلل الموشية: ص: ٧٢.
راجع التفاصيل لابن أبي زرع: الروض، ص: ١٥٥.
(٤) الأمير عبد الله: التبيان، ص: ١٥٠.
(٥) أغمات مدينة في ظاهر مراكش مات فيها المعتمد وزوجته في المنفى (Amgat).
راجع المعجب، ص: ٢٠٦- ٢٠٩.
(٦) داوود بن عائشة أحد قادة ابن تاشفين البارزين، ويعتبر قائد قوات الصاعقة أو الكماندوز في تعبيرنا الحديث.
(٧) وكان حاكم المرية وقتئذ هو المعتصم أبو يحيي محمد بن صمادح التجيبي يقاسي سكرات المرات، وعندما شعر بالحصار، قال: نُغص علينا كل شيء، حتى الموتُ وفارق الدنيا.
ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص: ١٥٦.
المراكشي: المعجب، ص: ٢٠٢.
مذكرات الأمير عبد الله، التبيان، ص: ١٦٧.
ابن خلدون: العبر، ج٦، ص: ١٨٧.

الأندلس والنصارى[١]، فحطم هذا التحالف واستولى على جميع الحصون الممتنعة ومدينة بلنسية[٢]، فدان بذلك شرق الأندلس كله للمرابطين، وبعد فراغ سير من تصفية جيوب المقاومة في مملكة أشبيلية، بادر بالمسير إلى غرب الأندلس، فاستولى في طريقه على شلب، ويابرة، وألقى حصاره على العاصمة بطليوس الذي تحصّن بداخلها أميرها المتوكل بن الأفطس، وكغيره من الأمراء، تحالف متلهفاً مع النصارى، ليدفع الثمن غالياً، حياته وحياة ولديه، وتخلي الشعب عنه[٣]، وأكمل المرابطون احتلال جزائر البليار[٤]، وميناء أشبونة من النصارى (٤٨٧/ ١٠٩٤)[٥]، وبانتهاء هذا المسلسل المأساوي أصبحت الأندلس جميعها في قبضة المرابطين، التي ضمت نهائياً إلى المغرب، ووضعت الأسس الدستورية لمستقبل العلاقات، التي يجب أن تقوم بين العاصمة مراكش، وبين الأندلس الإقليم المغربي الجديد، وهكذا خسر أمراء الطوائف الرهان على حلفائهم القشتاليين، فضلاً عن خسارتهم أملاكهم ومناصبهم، وحياة معظمهم في الوقت الذي حافظ النصارى فيه على أملاكهم ووجودهم، ويمكننا أن ندرك دون كبير عناء، فشل أمراء الطوائف في الحكم، وعلى الرغم من تقدمهم العلمي والحضاري، لم يكن فيهم من له المؤهلات القيادية ومواهب الحكم، والمقدرة على تنمية الشعور بالثقة بين مواطنيهم، الذي استمر وضعهم الداخلي ممزقاً، تعصف فيهم أعاصير الحربِ الأهلية دون توقف، وتتفاقم بينهم صيحات الاستغاثة من الفئات المنهوكة بالضرائب، وبصنوف الانتقام والقهر والطرد[٦].

---

(١) يتألف هذا التحالف من مدينة مربيطر (Murviedro) وبلنسية، وشنتمرية الشرق بالإضافة إلى الجيش النصراني بقيادة الكنبيوطر.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٠٥.

(٢) ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ١٤٩- ١٥١.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٠٥- ١٠٧.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله: البيان، ص: ١٧٣.
See: Dozy Hist. Of the Moslems in Spain, P. 716.

(٤) هذه الجزر هي منورقة وميورقة ويابسة، وتقع في البحر المتوسط شرق أسبانيا.

(٥) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٠٦.

(٦) يذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب: أن المعتضد بن عباد والد المعتمد، له أعمال انتقامية مثيرة مع أعدائه من مواطنيه مهما بعدوا، ومهما تدنت مراكزهم الاجتماعية، حيث انتقم من رجل ضرير هرب منه ناجياً بنفسه مستجيراً بمكة المكرمة في الحجاز، يدعو عليه فأرسل إليه من احتال في قتله مسموماً.
راجع التفاصيل لعبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: ١٤١- ١٤٨.
دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨.

الموقف الشعبي العام من المرابطين:

رأينا كيف عاشت شعوب الأندلس أبهج أيامها بمقدم المرابطين إلى شبه الجزيرة[1]، هذا التأييد الشعبي العارم، بواسطته استطاع المغاربة احتلال الأندلس، دون كبير عناء، وبأقل الخسائر، من أمرائها العابثين، الذين تخلت عنهم شعوبهم وقت المحنة[2]، لتنال الحظوة والتأييد لدى أمير المسلمين وأن تأخذ قسطها من الاستقرار والهدوء، بعد أن حرمته طويلاً، وهكذا انتقمت الشعوب مسلوبة الإرادة من حاكميها، فقوبلت هذه المواقف بما تستحق منّا التنويه، لقيام الأمير المغربي برسم الخطوط العريضة للسياسة الداخلية والخارجية لولده على السير عليها، وبخاصة في الأندلس.

أن يهادن بني هود أمراء سرقسطة، وأن يتركهم حائلاً بينه وبين النصارى، فهم طليعة الأندلسيين في الخطوط الدفاعية[3]، يعطف على من أحسن من أهل قرطبة، ويتجاوز عن مسيئهم[4]، وألا يعين في مناصب الحكام والقضاة والولايات والحصون، والمدن إلا المرابطين من لمتونة[5]، ومن ثم يعهد إلى الأندلسيين بحراسة الحدود النصرانية، فهم أكثر خبرة بأحوال بلدهم.

وأخيراً ينشئ جيشاً مرابطياً، يوزع في مختلف مدن الأندلس لإشاعة الأمن، ونشر الطمأنينة وحماية البلاد[6]، وتعدّت هذه الإجراءات إلى مجال آخر هي العدالة التي كان لها حظ من اهتماماته، فقد ألغى المكوس والرسوم، وضرائب التعتيب والقبالات الجائرة[7]،

---

(١) راجع المراكشي، المعجب، ص: ٢٤١.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص: ١٥٦ - ١٥٧.
Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain, P. 716.
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص: ١٥٧.
الحلل الموشية، ص: ٨٣.
(٤) الحلل الموشية، ص: ٨٣.
(٥) المصدر نفسه والصفحة.
(٦) المصدر نفسه، ص: ٨٠-٨٢.
(٧) التعتيب: فرض رسوم إضافية على الناس لترميم المدن، أما القبالات: فهي الضرائب الإضافية التي تفرض على جميع السلع الاستهلاكية والتموينية.
ولم يبق ابن تاشفين من الضرائب، إلا ما أباحها الشرع، كالأعشار وأخماس الغنائم، والزكاة، والتبرعات والهبات.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٧٣.
المقري: نفح الطيب، ج٤، ص: ٧٥.

وجعل السجن المؤبد العقوبة القصوى بدل الإعدام[1]، ومما يستلفت الانتباه، أن أمير المسلمين أبى ألا أن يشرف بنفسه على تنفيذ القوانين، فجولاته بين المغرب والأندلس لم تنته طيلة حياته[2]، المليئة بالنشاط والحركة، والتي أكسبته حب الشعب الأندلسي له وطاعته، فلا لوم على هذه الجماهير، إذ أسلست للمغاربة قيادتها، التي أثبتت جدارتها في معركة أقليش (اقليج) (١١٠٨/٥٠١) (Ucles) في زمن إمارة علي بن يوسف التي لم تكن أقل من الزلاقة في عنفها وبعد أثرها[3]، ومنها بدأ العد التنازلي يصاحب المرابطين، بعد أن خبت فورة انتصاراتهم، بغياب قادتهم العظام عن مسرح المعارك[4]، وعجز القادة الجدد عن مغالبة نعيم الأندلس الأخاذ الذي لا يتلاءم مع ثقل التركة التي ورثها الأمير علي وناء بها حتى عجز عن حملها، وأسلم المبادرة إلى النصارى، الذين كانوا في أثنائها أشد يقظة وتربصاً وتعصباً ضد الإسلام، مما أطمعهم في المسلين، وقوّى من أملهم في استرداد الأندلس، ثغرات الضعف، التي أخذت تتكاثر في نهاية حكم سلطان المرابطين (علي بن يوسف) وقد أوجز عبد الواحد المراكشي هذه الثغرات بقوله: "فأما أحوال جزيرة الأندلس، فإنه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف، اختلت أحوالها اختلالاً مفرطاً، أوجب ذلك تخاذل المرابطين، وتواكلهم وميلهم إلى الدعة، وإيثارهم الراحة، وطاعتهم النساء[5]، فهانوا على أهل الجزيرة، وقلوا في أعينهم واجترأ

---

(١) الحلل الموشية، ص: ٨٢.

(٢) الناصري: الاستقصاء، ج٢، ص: ٦٠.

(٣) انتصر المسلمون مرة أخرى على الملك العجوز الفونسوا السادس، وفجع بابنه الوحيد الحدث سانشو، حيث سقط مضرجا بدمائه مع خيرة قادته وعشرين ألف من جنده، أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٢٣.

(٤) هؤلاء القادة مثل: سير بن أبي بكر، وأبو محمد مزدلي، محمد بن فاطمة، داوود بن عائشة ومحمد ابن عائشة وغيرهم.

(٥) يبيّن المراكشي هذا الاختلال في موضع آخر فيقول: "اختلت حال أمير المسلمين" علي بن يوسف - رحمه الله- بعد الخمسمائة "من الهجرة" اختلالاً شديداً، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، وانتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين، وأحق بالأمر منه، واستولت النساء على الأموال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير، وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور، وأهمل "السلطان" أمور الرعية غاية الإهمال، فاختل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس، وكادت تعود إلى حالها الأول، المعجب: ٢٦٠- ٢٦١.

عليهم العدو، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم[1]، وكان أيضاً من أسباب ما ذكرناه من اختلالها قيام ابن تومرت بالسوس[2]، واشتغال علي بن يوسف بـه عن مراعاة أحوال الجزيرة، ولما رأى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين، أخرجوا من كان عندهم من الولاة، واستبد كـل منـهم بضبـط بلـده وكـادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة بني أمية[3]. إزاء هذه الصـورة المهلهلـة لسلطة الدولة لملم القضاة ورجـال الفكـر أقلامـهم، وأخـذوا يفكـرون بـأمور السياسـة والحكم[4]، دلالة للتفريغ المستمر لطاقات السلطة، وعجزهـا عـن الصمـود والاسـتمرار لخلق قدرات بشرية متجددة، قادرة على تضييق الهوة التي تفصل بـين الحضـارتين، فبقـي الفارق الحضاري والتفاوت الاجتمـاعي[5]، مؤشـراً لاختـلال الأحـوال في دولـة لمتونـة اختلالاً مفرطاً كما رأينا، وتحول قادتـهم وجنودهـم تحـت تأثـير الحيـاة الأندلسـية، عـن واجبهم الجهادي، وانغماسهم سادة مترفعين في حياة رافهة لم يحسنوها[6]. يعتـدون علـى الناس ويستعلون عليهم، وتخليهم عن كثير مـن تقـاليدهم، فكرهـهم الشـعب وفـرّ مـن صحبتهم، وزاده إعراضاً عنـه سـقوط سرقسـطة في قبضـة النصـارى (٥١٢/ ١١١٩)[7]،

(١) من هذه الثغور والمدن الإسلامية التي استولى عليها النصارى، ثغر المرية (٥٤٢/ ١١٤٧) ثم طرطوشة ولا رده وإفراغه من قواعد الثغر الأعلى.

(٢) يقصد بلاد السوس التي نبت فيها ابن تومرت، وهي جنوب المغرب.

(٣) المراكشي: المعجب، ص: ٣٠٤.

(٤) د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص: ٣١.

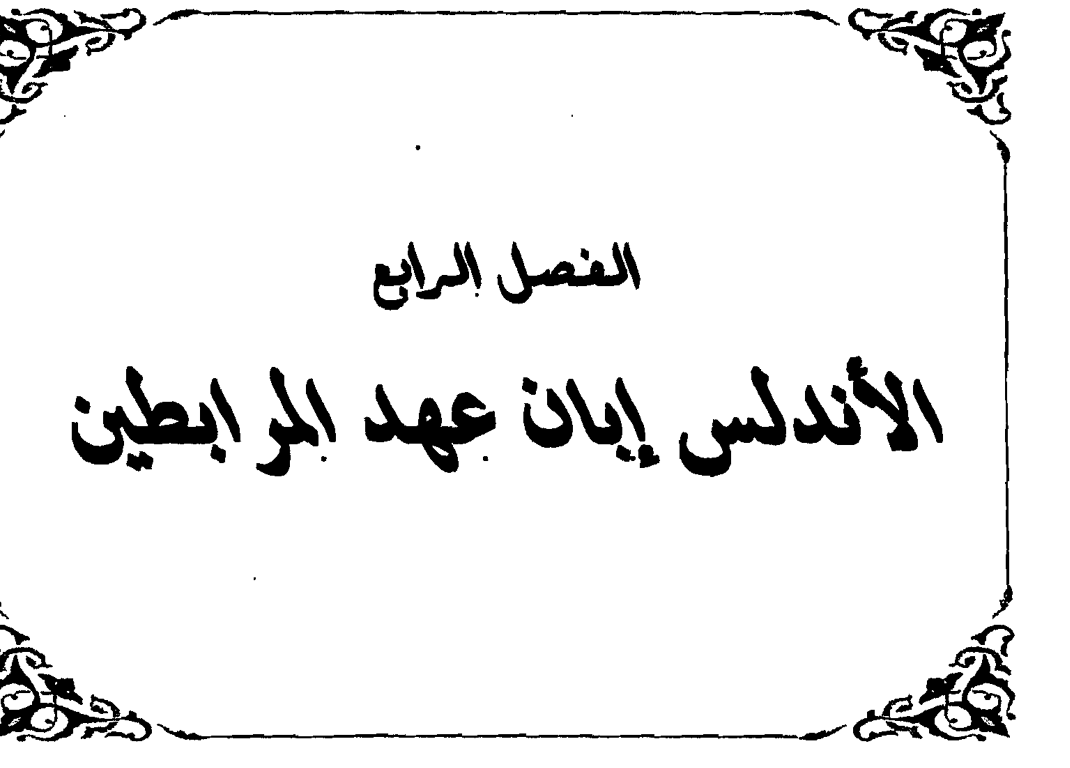
(٥) الحلل الموشية، ص: ٨٦.

(٦) انظر المعجب، ص: ٢٦٠.
الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، ص: ١١١.
Dozy, Hist. Of the Moslems in Spain, P. 261.

(٧) راجع في سقوط سرقسطة:
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٦٣.
ابن الأبار: الحلة السيراء، ص: ٢٢٥.
ابن خلدون: العبر، ج٤، ص: ١٦٣.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٥٠- ١٥٢.

وذلك الثغر المنيع، الـذي كـان أحـد أبـرز المؤشـرات لثـورة قرطبـة (٥١٥/ ١١٢٢)[١]، وهكذا بدأت تهتز الثقة الشعبية التي تكوّنـت منـذ أيـام يوسـف، تحـت أقدامـهم، وبـدأ الشعب يراجع حساباته، ويرقب صراعهم مع الموحدين بعـين يقظـة، ليشـارك في الثـورة عليهم والإجهاز على وجودهم.

(١) هذه الانتفاضة كانت ضد غطرسة الولاة المرابطين وانغماسهم في الملاذ وترك الجهاد.



الفصل الرابع

الأندلس إبان عهد المرابطين

تمهيد:

لقد تطورت الدولة المرابطية من إمارة صغيرة بقلب الصحراء، إلى دولة مغربية، وإمبراطورية كبرى، بلغت أقصى اتساع لها في عهد الأمير يوسف ابن تاشفين، ودولة كهذه، لا بد من تنظيم إداري ومالي دقيقين لها، فقسمت إلى مناطق إدارية، ترابط على ثغورها الحدودية جيوش ثابتة. لذا كان تدخلها في الأندلس، قد أوقف الزحف المسيحي، وزاد عمر الإسلام في الجزيرة. وكانت الوحدة السياسية التي حققها اللمتونيون، قد صاحبتها وحدة حضارية تمت بموجبها عملية المزج والانصهار الحضاري بينهما، حيث شجع أمراء المرابطين المهندسين والصناع، لإقامة منشآتهم العمرانية من مساجد وقصور، وقناطر، وقنوات ري وقلاع، فضلاً عن تشجيعهم العلماء والأدباء والفقهاء، حيث وفد عدد كبير من نوابغ الفكر الأندلسي على حاضرة مراكش، منهم الطبيب أبو العلاء بن زهر، والكاتب ابن عبدون، والشاعر ابن خفاجه، والقاضي ابن رشد وغيرهم.

نظام الحكم عند المرابطين:

كان المؤسس الحقيقي لدولة لمتونة هو ابن تاشفين أمير المسلمين(1)، وهذا الموقع الذي اكسبه لدولته، اقترن بالتزامات كان لا بد أن يؤديها أمام مجتمعه، فأخضع أقطار المغرب، ودانت له الأندلس، ووفقا لمشيئته أصبحت الدولة وراثية، يختار من يراه أهلا لخلافته من أبنائه، وليس شرطاً أن يكون الابن البكر، الذي يعين بدوره نائباً لأمير المسلمين على الأندلس(2)، التي قسمت إدارياً إلى ست ولايات: اشبيلية، غرناطة، قرطبة، بلنسية، مرسية، سرقسطة، ويتولى كل منها قائد عسكري من أمراء البيت المالك أو من المقربين منهم(3)، بيد أن سمة النظام العسكري هذه التي تغلب على دولة المرابطين، لا

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص: ٢٣٦.
ابن خلدون: العبر، ج٦، ص: ١٨٨.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٥٩.
انظر أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١٢٢.

(3) راجع ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٤٨- ٤٩.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص: ١١٩.

يمنع أن يضطلع بمهام الحكم فيها إلى جانب أمير المسلمين، مجلس وزراء تابع له يتنقل تبعاً لتنقله في السلم أم في الحرب. أما القضاء فليس أقدر على تحمل أعبائه سوى الأندلسيين[1]، الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع، وليس غيرهم أداة للقربى بين الحكومة والمواطن الأندلسي[2]، مما هيأ لهم قيادة الثورات، عندما اختلت شؤون الحكم.

الناحية العسكرية:

أشرنا في ما سبق، إلى أن نظم الدولة المرابطية، ترجع إلى أسس دينية، واصلاحية نظمها فقيه هو عبد الله بن ياسين[3]، وطالما نشأت في مهاد المعارك والخطوب، لا بد أن يكون الجيش فيها أهم أجهزتها ودعامتها الأولى، حيث أشاد أبو عبيد الله البكري بشجاعة لمتونة، "وكان للمتونة، في قتالهم شدة وبأس ليست لغيرهم،و كان قتالهم على النجب أكثر من الخيل، وكان معظم قتالهم مترجلين، يقفون على أقدامهم صفا بعد صف، يكون بأيدي الصف الأول منهم القنا الطوال، وما يليه من الصفوف بأيديهم

(١) لأن مهنة القضاء تحتاج إلى الإلمام الثقافي الذي كان يفتقر إليه القضاة من المرابطين.
المراكشي: المعجب، ص: ٢٥٥- ٢٧١.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٥٩، ٧٢، ٧٣.

(٢) ومن أبرز هؤلاء القضاة: أبو الوليد بن رشد، ومالك بن وهيب، وابن حمد ين وهذا الأخير هو الذي أشار على أمير المسلمين علي (٥٠٣/ ١١١٠) أن يحرق كتب الغزالي، ورأينا كيف انصاع الأمير إلى ابن رشد بنفي النصارى المعاهدين عام (٥١٦/ ١١٢٦) وأخذ برأيه بتسوير مدينة مراكش، وعزل أخيه تميم عن الأندلس، الحلل الموشية، ص: ٩٠، ٩٨، المراكشي: المعجب، ص: ٣٠٤، ٣٠٨، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٧١.

(٣) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٢٥.
أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص: ١٦٦، المشتق من كتاب المسالك والممالك (طبعة دي سلان).
بينما يذكر الحلل الموشية هذا الوصف "وكان للمتونة في قتالهم شدة وبأس، ليس لغيرهم، وبذلك ملكوا الأرض، وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل، وكان معظم قتالهم مترجلين، يقفون على أقدامهم صفاً بعد صف، يكون بأيدي الصف الأول منهم القنا الطوال، وكانوا يختارون الموت على الانهزام، ولا يحفظ لهم فرار من زحف".
الحلل الموشية: ص: ٢١، ٢٢.

المزاريق، يحمل الرجل الواحد منها عدة، برزقها فلا يكاد يخطئ ولا يشوي، ولهم رجل قدموه أمام الصف بيده الراية، فهم يقفون ما وقفت منصته، وأن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعا، فكانوا أثبت من الهضاب، ومن فر أمامهم لم يتبعوه، وكانوا يختارون الموت على الانهزام، ولا يحفظ لهم فرار من زحف[1]، وقد تطورت هذه الأساليب القتالية فيما بعد، وبقيت البصمات العسكرية هي الغالبة عليها طوال حياتها، حيث كان يتولى منصب إدارة الولايات في المغرب والأندلس، عسكريون محترفون[2]، حتى أن يوسف بن تاشفين نفسه كان أحد أبرز القادة العسكريين في عصره، وقد بذل هذا الشيخ في تنظيم الجيش[3]، وفي تسليحه بالمتطور منها[4]، جهوداً رائعة، حتى غدا مفخرة جيوش عصره[5]، وما كانت المغرب على سعتها لتكفي طموحاته المتجددة، بل تجاوزتها إلى بلاد الأندلس، أرض الحرب الدائمة، وفي معاركها اكتمل تنظيمه ونبوغه العسكري، حيث كان المشاة في المقدمة، والفرسان في الجناحين، وفي القلب حملة النبال والقسي، ووحدات الفرسان الثقيلة[6]، وأمير المسلمين يباشر الحرب بجيشه الاحتياطي بينما تشارك القوى الأندلسية في هذا الجيش بفرق خاصة مميزة، من اشبيلية، وقرطبة، وجيان، ومالقة، وغرناطة وغيرها[7]، إذ تناط بها مهمة عبء الخطوط الدفاعية الأولى[8]، فضلاً عن توفر الأسطول الذي يشد من أزر السلطة في محطاته الاستراتيجية، سبتة، وطنجة، وطريف، والجزيرة الخضراء، وقادس، والمرية، وكان له قصب السبق في حركة الجيوش الدائمة على جانبي المضيق، وفي أعمال الفتح[9].

---

(١) روض القرطاس: لابن أبي زرع، ص: ١٥٩- ١٦١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) روض القرطاس، لابن أبي زرع، ص: ١٣٩.

(٤) الحلل الموشية، ص: ٣٣، ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٣.

(٦) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٣٩.

(٧) الحلل الموشية، ص: ٥٦.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٩) فتحت بواسطة الأسطول، مدينة بلنسية، وجزائر البليار الشرقية، ميورقة، ومنورقة ويابسة.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج٢، ص: ٢٣٧.
الحلل الموشية، ص: ١٣٣.
المراكشي: المعجب، ص: ٢٩٦.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ١٠٤.

النظـم الماليـة:

مادامت الدولة قائمة على أسس من الشريعة الإسلامية، فلا بد للسلطة أن تقتصر في بادئ الأمر، على جمع ضرائب الزكاة والأعشار، وأخماس الغنائم، وجزية أهل الذمـة، بيد أن هذه الموارد لم تف بمتطلبات البلاد الاقتصادية، وبخاصة بعد ضم إقليـم الأندلـس، وما ترتب عليه من نتائج ملحة لمواجهة العداء الذي تثيره الإمارات الأسبانية في الشمال، مما يحتم بقاء جيش دائم تحت السلاح، شديد التيقظ والحـذر، لذلـك شـرع ابـن تاشـفين بزيادة أموال الجزية على طائفة اليهود[1]، واستحدثت ضرائب القبالات والإتاوات[2]، في زمن علي بـن يوسـف، ولجأ في تحصيلـها إلى استخدام اليـهود[3]، فاشـتطوا في جمعـها، وانتقموا من السكان، وحذا حذوهم الموظفون الماليون، ممـا أحـدث الفوضـى في شـؤون الدولة المالية.

وبعد انتهاء غزو الأراجون لغرناطـة، واشـتداد الحركـة التومرتيـة بـالمغرب، أخـذ الأمير علي بن يوسف برأي ابن رشد[4]، ضرورة حمايـة المدن والمنشـآت الحكوميـة مـن جميع الأخطار المحتملة، وبخاصة قطاع الأندلس، فباشـر بتحصينـها وإحاطتـها بالأسـوار، وإعادة النظر في الأجهزة الدفاعية، لتكون قادرة على الصمود أمـام المتغـيرات الجديـدة، وطالما عجزت موازنة الدولة، عن تمويـل هـذه المشـاريع، فكـان لزامـاً علـى الشـعب أن يتحمل القسط الأكبر من هذه النفقات، باسم ضرائـب (التعتيـب أو إتـاوة الـدار) المـار ذكرها، فضلاً عن الأساليب والتدابير القمعية التي استعملت أحياناً في هــذا المضمـار[5]. وعلى الرغم من ذكر السلبيات السالفة، يتطلب منا التنويه لإبراز ممارسات إيجابية عايشها

---

(١) الحلل الموشية، ص: ٨١.

(٢) انظر الرسالة، ص: ٥٥.

(٣) كانت تحصل الضرائب بالدينار المرابطي، وهو مسكوكات مرابطيـة، ضربـت في زمـن يوسـف بـن تاشفين عام (٤٧٢/ ١٠٨٠) وكتب عليها اسمه.
ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٤٣.
أشباخ: تاريخ الأندلس، ج٢، ص: ٢٣٨- ٢٣٩.

(٤) الحلل الموشية: ص: ٩٠- ٩٨.
ابن عذاري: البيان المغرب، ج٤، ص: ٧٣-٧٤.

(٥) المقري: النفح، ج٤، ص: ٧٥.
ابن عذاري: البيان، ج٤، ص: ٧٣- ٧٤.

الرغم من ذكر السلبيات السالفة، يتطلب منا التنويه لإبراز ممارسات إيجابية عايشها الأندلسيون زمن لمتونة، كان يمضي حقبة من السكينة والرفاه المادي لم ينعم بها منذ أيام الدولة العامرية، بعد أن انحسرت عنه الأعباء المالية والعسكرية، التي حملها المرابطون معهم وهم يؤدون فريضة الجهاد، فانصرفت الطبقات الشعبية، لممارسة الأعمال السلمية، والمشاركة الاقتصادية، بنفس مطمئنة، خلقت الإبداع، والازدهار، الذي ينقصها أيام الطوائف، فيسوغ لنا أن نصف هذه الفترة، بالاستقرار النسبي، فيها طعم الدعة والرخاء، عمت قاصية أمصار الأندلس، وشاعت العافية بين مختلف فئاته، ولدينا مؤشر من الحلل الموشية، وروض القرطاس ما يؤيد ذلك[1]، لكن يبدو أن الأمور اضطربت، أثر قيام الحركة التومرتيه وتبدلت الأحوال.

الحالة الفكرية:

*** الكتاب والمؤرخون:**

لم تدم دولة المرابطين أكثر من ستين عاماً في الأندلس، التي أصبحت في زمنهم ساحة من ساحات المعارك الملتهبة، لذا كانت فترات الهدوء والاستقرار، أقل من فترات الحرب والاضطراب، وهم الذين تربوا في مهاد الصحراء، لذا لم يأخذوا قسطهم من الثقافة والعلوم[2]، التي توجبه الحضارة والتمدن، وهذا لم يكن حائلاً بين ابن تاشفين وبين استخدامه لألمع الكتاب الأندلسيين في بلاطه، كعبد الرحمن بن أسباط[3] ومحمد بن

---

(١) الحلل الموشية، ص: ٨٢.
ويقول ابن أبي زرع: كانت لمتونة أهل ديانة خالصة، وصحة مذهب، وكانت أيامهم أيام دعة، ورفاهية، ورخاء متصل وعافية وأمن، تناهي القمح في أيامهم إلى أن يباع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال، والقطاني لا تباع ولا تشتري، كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم، ولم يكن في عمل بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط، ولا وظيف من الوظائف المخزنية، حاشا الزكاة والعشر، وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد، ووقعت الغبطة، ولم يكن في أيامهم نفاق، ولا قطاع، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس، إلى أن خرج عليهم مهدي الموحدين، في سنة خمس عشرة.
راجع ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٦٧.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص: ٣٥١.
(٣) عبد الرحمن: من أهل المرية، الحلل، ص: ٤٩.

سليمان الكلاعي الاشبيلي[1]، وجمهرة مزدحمة من أقطاب العلم، وأئمة اللغة، وفحول الشعراء، وجهابذه الكتاب[2]، وكان من أقدرهم الكاتب الوزير أبو عبد الله بن أبي الخصال، وَزرَ لعلي بن يوسف، فنبغ في علم القرآن،والحديث، والأثر، وكان من المقربين إلى أمير المسلمين، وأخيراً عاد إلى قرطبة بعد أن أعفي من منصبه، وتوفي فيها (٥٤٠/١١٤٦)[3].

وازدانت الدولة بكبار المؤرخين[4]، وكان من أشهرهم: أبو الحسن علي.بن بسام الشنتريني، من مدينة شنترين البرتغالية، وله مؤلف: كتاب الذخيرة وهذا أشهر وأقيم كتب الأدب والتاريخ، ويعتبر بحق مصدر من مصادرنا التاريخية المهمة. وابن بشكوال، راوية أخبار بلاد الأندلس وله عدة مؤلفات، أشهرها كتاب الصلة: الذي جعله تتمة لكتاب ابن الفرضي في تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، وجاء ابن الآبار بعده، فذيل كتابه وسماه التكملة ثم جاء أبو جعفر بن الزبير فوضع له تذييلاً آخر أسماه صلة الصلة. وكتاب الصلة يعتبر من أوثق مصادر التاريخ للآن.

ومن الشعراء نذكر بعض الذين برزوا في دولة لمتونة، وكان الشعر صفة ملازمة لهم، وأخص بالذكر أولاً الشعر الزجلي[5]، الذي نبغ فيه أبو بكر بن قزمان أمام الزجالين

(١) يعرف بابن القصيرة، وكان هذا من وزراء ابن عباد، ومن ضمن الوفود التي استغاثت بيوسف يوم الزلاقة، ولما استصفى يوسف أمراء الطوائف، دعا ابن القصيرة إلى بلاطة، فكان بداية لإيواء الكتاب الأندلسيين، وتوفي (٥٠٨/ ١١١٤). المراكشي: المعجب، ص: ٢٤٣.

(٢) أشهرهم: أبن الجد المعروف بالأحدب، وابن القَبْطُرْنة، وأبو عبد الله ابن أبي الخصال، وأبو محمد عبد الجيد بن عبدون وغيرهم.
المراكشي: المعجب، ص: ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥٦- ٢٦٠.

(٤) ومن هؤلاء المؤرخين: ابن بسام الشنتريني، وعبد الله بن وزقر الحجاري، والرشاطي، وابن عامر الطرطوش، وابن قاسم الشلبي، وابن بشكوال القرطبي.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص: ٣٣٧، القاهرة، ١٩٤٨.

(٥) الزجل: أول ما ظهر في زمن الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٧- ٣٠٠/ ٨٨٨- ٩١٢) في الأندلس وله أسبقية على الموشح، لأن الزجل في أصله أغنية شعبية، ولكنه أخذ مكانته الأدبية بعد شيوع الموشح، وهو شعر منظوم باللغة العامية الأندلسية من غير التزام في الإعراب، (أو هو هزلي كما=

على الإطلاق، وهو من سكان قرطبة، كان من حاشية المتوكل بن الأفطس "حاكم بطليوس"، اشتغل بالنظم في مستهل حياته كأمثاله من الشعراء، لكنه كان عاجزاً عن اللحاق بهم، فانتهج هذه الطريقة الزجلية، التي برّ فيها أقرانه، وكان قد توفي بقرطبة (٥٥٥/ ١١٦٠)، وثمة شاعر آخر اشتهر بالشعر المنظوم، ويدعى أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف، ينتهي نسبه إلى ياسر بن عمار، من مواليد غرناطة، وكان من ضمن الوفد الذي قابل عبد المؤمن بن علي بجبل طارق، أهلته هذه المقابلة لأن يصبح وزيراً في مسقط رأسه زمن واليها الموحدي، السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن، الذي كان من الخشونة وعدم الكياسة مما أثار حفيظة الوزير الأندلسي، وانتهاجه مسلك عدائي خفي، تمخض عن صدام ساخن، تديره بقصد أو خلافه تلك الشاعرة الحسناء حفصة بنت الحاج الركوني[1]، الذي انفرد بها الوزير (أبو جعفر) يوماً معاتباً "ما هذا الغرام الشديد به (يعني السيد) "وكان شديد الأدمة "السمرة" وأنا أقدر أن اشترى لك من المعرض أسودا

=يقول عنان). ومن الزجالين مقدّم بن معافر الفريري أولهم، وأبو عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب "العقد الفريد" وعبادة القزاز، وأبو بكر بن قزمان، وجاء بعده مدغليس (أحمد بن الحاج)، عاصر دولة بني عبد المؤمن وهو شيخ الزجالين بعد ابن قزمان المار الذكر، فمن مشهور قوله:

ورذاذ دق ينزل	وشعاع الشمس ينزل
فترى الواحد يفضض	وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر	والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي إلينا	ثم يستحي وترجع

وله: لاح الصّبا والنجوم سكاري.

ومن بعدهم جاء أمير النظم والنثر الوزير أبو عبد الله بن الخطيب.

ابن خلدون: المقدمة، ص: ٥٨٤، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٨.

ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص: ١٠٠، القاهرة، ١٩٦٤.

ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص: ٣٤٤، القاهرة، ١٩٥٦.

المقّري: نفح الطيب، ج٧، ص: ٥-٦، دار صادر بيروت، ١٩٦٨.

عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج١، ص: ٤٥٣، القاهرة، ١٩٦٣.

(١) كانت المنافسة على كسب ودها إحدى أسباب النفور بين الأمير أبي سعيد ووزيره أبي جعفر.
ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص: ٢١٧.

خيرا منه بعشرين ديناراً[1]، وهكذا وصلت المعاداة إلى نقطة اللاعودة، وبقي أبو جعفر يعيش آنذاك حالة من التشنج والهلع تحت هاجس ردة الفعل لدى الأمير التي ربما ستكون حاسمة، ومتهيباً بدون شك جسامة الخطورة المترتبة على التصدي الساخن للسيد، وفي ضوء هذا الواقع للعلاقة غير الودية بينهما، لم يشأ أن يكون الرأي فردياً، فاتصل بأقاربه للتشاور، وهذا أحد مؤشرات الصراع الإقليمي الذي تجلى في حرب المرابطين بخاصة، والمغاربة عامة وبالتحديد في شرق الأندلس، وأرفض الاجتماع على قرار الرحيل الجماعي من غرناطة، والالتحاق بابن مردنيش الثائر في الشرق[2]، ويبدو كأن تنسيقاً ما سبق تدبيره بين حركات التمرد التي استهدفت المغاربة كما أسلفنا بزعامة الثائر المذكور، وهذا ما يؤكد تنامي العصبية الإقليمية المشار إليها سابقاً، بيد أن الأمير اليقظ لم يكن وجوده غيابياً عما كان يحاك في الخفاء، وهو المستهدف أولاً والسلطة ثانياً، فألقى القبض على أبي جعفر، وكانت نهايته مأساوية، وانفرد وحده بتسديد الثمن[3]، دون أن تثار زوابع حول إحباط تلك المؤامرة. ولدينا مؤشر من شعر الوزير، يدل على المعاناة النفسية التي عاشها في ظل الموحدين:

من يشتري مني الحياة وطيبها	**ووزارتي وتأدبي وتهذبي**
بمحل راع في ذرى ملمومة	**زويت عن الدنيا بأقصى مرتب**
فلقد سئمت من الحياة مع امرئ	**متغضب متقلب مترتب**
الموت يلحظني إذا لاحظته	**ويقوم في فكري أوان تجنبي**

وقد يحمل قول الوزير أبي جعفر، على شعور بالإحساس أو قول شاعر عفوي، صوت القهر، والتعذيب النفسي، والمعاناة التي كابدها، فضاقت به الأرض على وحابتها، حيث افتقد الحيلة لإنقاذ نفسه، والموت الأحمر لا يفارق مخيلته، مع أنه كان من أوائل المرحبين بهذا النظام، الذي أخفق كما يبدو في مسعاه لإعادة الطمأنينة إلى النفوس، حيث أن الدولة التي راهن عليها الأندلس لم تكن البديل المنشود.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج١، ص: ٤٥٢.

* **المحدثون والفقهاء:**

تعتبر الحركة الفكرية، في عصر المرابطين، امتداداً للحركة في عهد أمراء الطوائف، وعلى الرغم من تعثرها أيام يوسف بن تاشفين إلا أنها اندفعت خطوات للأمام أيام خلفائه علي وتاشفين، فبلاطهم كان ملتقى لجم غفير من الفقهاء، والحفاظ والمحدثين، وفي مقدمتهم أبو بكر بن العربي من أهل اشبيلية، ولد عام (٤٦٨/ ١٠٧٦)، ورحل إلى الشرق ضمن وفد أرسله أبن تاشفين للخليفة العباسي، وقابل في طريقة الإمام الغزالي في بغداد، وأبا بكر الطرطوشي في دمشق، وغدا أستاذاً لكل الذين أتوا من بعده، وله عدة مؤلفات تربو على الأربعين[1]، وترأس وفد بلاده إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما احتل أتباعه اشبيلية، وبعد ما جرت المقابلة في مراكش، عاد الوفد للأندلس، وفي الطريق توفي أبو بكر ودفن بفاس (٥٤٣/ ١١٤٨)[2]. ومن هؤلاء الفقهاء أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد، قاضي الجماعة بقرطبة، الذي برع في الفقه المالكي، وكان سياسياً متضلعاً، حيث آلت إليه الفتوى في نفي النصارى المعاهدين كما مر سابقاً[3]، وكانت وفاته في بلدة قرطبة (٥٢٠/ ١١٢٦)[4]. ومنهم كذلك القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المولد (٤٧٦/ ١٠٨٤)، وعندما اكتمل شبابه تنقل بين مدن المغرب في رحلة علمية، استمع إلى فقهائها، وعاد إلى بلده ليتولى فيها القضاء، وبعدئذ عين قاضيا في غرناطة، ومن ثم أعيد إلى سبتة قاضياً للمرة الثانية، وفي أثناء عمله، ثارت حوله زوابع كثيرة، ومؤامرات استهدفت شخصه، وهو ثابت لم ينحن للمؤثرات والوساطات، لذلك كان موقفه من الموحدين متذبذبا بين طاعتهم وعصيانهم[5] في بداية تغلبهم على

---

(١) ومن الفقهاء: ابن العربي، وابن رشد الجد، وأبو علي حسين بن محمد الصدقي، وابن الحلال، وابن صاعد الغساني، والقاضي عياض السبتي.
ابن بشكوال: الصلة، ج٩، ص: ٥٩٠- ٥٩١.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: ١٩٠.
ابن بشكوال: الصلة، ج٩، ص: ٥٩١.

(٣) الحلل الموشية: ص: ٩٨.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٩، ص: ٥٧٧.

(٥) عنان: دولة المرابطين والموحدين، ص: ٤٦٣.

المرابطين، وهو من رواد علم الحديث في عصره متقنا للأدب والشعر والتاريخ، وله مجموعة من المؤلفات، وأشهرها 'مشارق الأنوار' في تفسير غريب الحديث، وكتاب 'الشفاء بتصريف حقوق المصطفى' وهو من أشهر ما كتب، وكتاب 'التنبيهات' وكتاب 'العيون الستة في أخبار سبته' وغيرها، ويعد أعظم حفاظ المغرب وعلمائها في عصره على الإطلاق[١].

وظهرت طائفة من الفقهاء المتصوفة في الأندلس، باسم حركة المريدين، ورائد هذه الحركة هو: أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن العريق من أهل مرسية[٢]، وله عدة مؤلفات منها 'محاسن المجالس' ضمنه أسس طريقته الصوفية[٣]، وقد جرت عدة مراسلات ومناقشات فقهية بينه وبين القاضي عياض السالف الذكر، فظهرت في آرائه تطرفاته الفكرية، فاستدعاه الأمير علي بن يوسف إلى مراكش، وبقي هناك، تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته (٥٣٦/ ١١٤٨)[٤].

ونبغ في اللغة عدد من أئمتها، كان أشهرهم، أبو عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي[٥]، الذي ولد ببطليوس غرب الأندلس (٤٤٤/ ١٠٥٣)، وسكن بلنسية، وأكمل تعليمه فيها، حيث أقبل إليه رواد اللغة والنحو من كل فج، وترك عدة مؤلفات منها: 'ضوء السقط'، و'سقط الزند'، و'الحلل في شرح أبيات الجمل'، وشرح 'الموطأ'، وكتاب 'الاقتضاب في شرح أدب الكتاب' وغيرها، وكانت وفاته ببلنسية عام (٥٢١/ ١١٢٧)، وله شعر جيد فمنه هذان البيتان:

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص: ٤٦٩.

(٢) ابن أبي صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص: ٢٢.
ابن الآبار: الحلة السيراء، ص: ١٩٩.

(٣) وكانت طريقته في التفكير: الزهد في كل شيء، وفي منازل الصوفية، والعطايا والمواهب الإلهية، وما إليها من المنن التي يهبها الله للنفس الإنسانية، ما عدا الله.
د. عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص: ١٨٤.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص: ٦٧.

(٥) وكان منهم كذلك: يونس بن أحمد بن مغيث، وأحمد بن عبد الجليل ابن عبد الله، وعبد الله السعدي وغيرهم.
ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص: ٢٩٢- ٢٩٣.
ابن خلكان: الوفيات، ج١، ص: ٢٣٢- ٢٣٣.

أخـو العلـم خـالد حـيّ بعـد موتـــه وأوصالـــه تحـت الـــتراب رميــــم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الـــثرى يظـــن مـــن الأحيـــاء وهـــو عديـــــم

*** العلـــوم:**

لقد حظيـت العلـوم بـهذا العصـر بنهضـة زاهـرة، وكـان مـن روادهـا عـدد مـن الشخصيات اللامعة[١]، ومن أبرز عمداء هذا المحفل اثنان: أولهما الفيلسوف أبو بكر بـن محمد بن يحيي بن الصائغ التجيبي المعروف بابن باجـة السرقسطي، نبـغ في الرياضيـات، والفلك والطبيعة والفلسفة وتقلّد الـوزارة في سرقسـطة للـوالي المرابطـي، فحظـي بثقتـه ورعايته، فكثر حساده وناقدوه، وأتهم في عقيدته، وكـان مـن أكـثر القـاذفين الفتـح بـن خاقان، وعلى الرغم من ذلك بقي في منصبه حتى سقطت سرقسطة بيـد العـدو (٥١٢/ ١١١٨)، فهجرها متجولاً في بلاد الأندلس والمغرب، إلى أن حط عصى التسـيار بفـاس، وفيها كانت وفاته (٥٣٣/ ١١٣٩) وخلف مجموعة من الكتب فقد أكثرهـا[٢]. وثانيـهما طبيب من عائلة اشتهرت بالطب في العصور الوسطى، هو أبو مروان عبد الملك بن زهـر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأشبيلي (Aven Zoar)، ألمع طبيـب في وقتـه، من طراز جالينوس والرازي، وله عدة مؤلفات طبية، أشهرها التيسـير حيـث كـان أحـد مراجع الطب في العصور الوسطى، وترجم إلى اللاتينية عدة مـرات، ومـارس العمليـات الجراحية، وبخاصة في إخراج الحصاة من المثانة، وكان ممن يصف الطريقة ويرسم الأدوات المستعملة[٣]، وتوفي في عام (٥٩٥/ ١١٩٩)[٤].

---

(١) منهم: ابن باجة، وابن يحيي الخزرجي الطبيب، والفلكي الطبيب أمية ابن أبي الصلت، وآل زهـر، والعالم الزراعي، ابن مالك التغزي من قرية تغز من قرى غرناطة.
راجع المراكشي: المعجب، ص: ١٣١- ٢٢٩.
المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٤٣٧ - ٤٣٩.

(٢) ابن الآبار: التكملة، ج١، ص: ١٦٢- ١٧٤.
ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص: ٤٢٩- ٤٣٦.

(٣) المقّري: نفح الطيب، ج١، ص: ٤٣٧- ٤٣٩.

(٤) راجع المراكشي: المعجب، ص: ١٣١.

وهكذا ساهم المرابطون في الحركة العلمية، وأنجبت الأندلس في عهدهم عدداً من كبار المفكرين، وكان عصرهم هو العصر الذي ازدهرت فيه كل مناحي الحياة، أدبية ومادية، حيث انتعشت التجارة، ونشطت حركة الصادرات والواردات، وتقدّمت مختلف الصناعات[1]، وازدحم في بلاطهم وبخاصة في عهد علي وتاشفين هذا الحشد من أقطاب الفكر، وليس ذلك إلا دليلاً شاهداً على الدور الريادي، الذي اضطلع به المرابطون، في دفع عجلة الحضارة الأندلسية إلى الأمام، وهو أمر ينكره علماء ومؤرخون غربيون كما ورد في أقوال كل من أشباخ ودوزي[2].

---

(١) د. عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص: ١٨٥- ١٨٦.

(٢) حيث يقول أشباخ:

"ولم يبد سلاطين المرابطين كبير عناية بأمر العلوم والفنون والشعر، وتقدّم المعارف، وقد اضطهدوا كل ما عنيت الدول العربية بتشجيعه من قبل وطاردوا العلوم الفلسفية والكلامية التي تنكرها التعاليم المرابطية (إشارة إلى حرق كتب الغزالي أيام الأمير علي) وحظروا قراءة الكتب التي تحتويها، وأحرقوها علناً، وكذلك حرّمت وأحرقت جميع الكتب التي تتضمن قصص الفروسية والقصص العادية".

أشباخ: تاريخ الأندلس، ج٢، ص: ٢٣٩.

ويقول دوزي:

"ويوسف الذي كانت لغته العربية ضعيفة، كان بدوياً غليظاً، وقد أعطي الإثباتات الكثيرة التي تدل على عدم تعلمه، ومثالاً على ذلك عندما سأله المعتمد ابن تاشفين عن القصائد التي قيلت بحضرته، فيما إذا كان قد فهمها أم لا؟ فأجاب يوسف: كل الذي أفهم من هذه القصائد بأن أصحابها بحاجة إلى الخبز".

وأورد دوزي كذلك رسالة من المعتمد إلى ابن تاشفين فيها: "والآن أيامي سوداء، والتي كانت في وجودك بيضاء" فيدعي دوزي أن يوسف أجاب، وهل الملك- أي المعتمد- يريد مني أن أرسل له فتاة سوداء وأخرى بيضاء".

على الرغم من أن هذا الكلام كان يقال على سبيل الضحك والتسلية (كما أورده الدكتور إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي ص: ٧٨، ٧٩) أما دوزي وغيره فقد أخذه على محمل الجد والصحة، بعيداً عن الموضوعية والحياد.

ويبدو أن أقوال كل من المؤرخ أشباخ الألماني، ودوزي الهولندي تفتقر إلى الموضوعية، وفيها كثير من التحامل المتعمد، والكراهية ليوسف ابن تاشفين شخصياً وهذا أمر طبيعي.

حقاً أن يوسف لا يجيد اللسان العربي، ولكن هذا لا يمنع من أنه كان ذكياً يفهم مقاصد الكلام إذا ترجم له، ويعني مراميه، ورأينا ذلك من مراسلاته إلى الفونسو السادس، ولمسنا حنكته العسكرية والسياسية، ورجل هذه بعض من صفاته، وماضيه والعسكري، وقيادته الحكيمة، وتقريبه للعلماء في عصره، وتشجيعه للنهضة العلمية في بلاده، مع حرصه الشديد على تعليم أبنائه العربية وثقافتها، مما ينفي عنه هاتيك التهم الباطلة التي ألصقت به.



خاتمــة

هذه الدراسة سلطت الضوء على هذه الفترة مـن تـاريخ علاقـة الأندلـس بدولـة المرابطين، فخرجت بإطار تاريخي متكامل لهذا المحتـوى، بـدءاً بالعلاقـات التاريخيـة (مـن سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية) بين 'العدوتين'، وختاماً بالعلاقة الوديـة والصداميـة والاحتوائية حيناً آخر مع الدولة المرابطية.

والحقيقة أن هذا البحث، قد أخذ مني الاهتمام من دون أن ألجـأ إلى التفـاصيل في جانب، بينما عالجت بشيء مـن الإسـهاب بعـض النقـاط ذات الصلـة المباشـرة بموقـف الأندلسيين من دولة المرابطين، لذا فسقوط الأندلس كدولة مركزية ذات سيادة، كان أحد المنعطفات التاريخية الحادة، الذي أسهم في تغيـير الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة، وحتـى النفسية في هذا المجتمع، ووضحت معـها التركيبـة السـكانية بفئاتـه غـير المنسـجمة، الـتي افتقرت إلى الحد الأدنى من التعايش السلمي، بمجرد انفلات قبضة الخلافة عـن الحكـم، فظهرت إمارات متغلبة ومسـتغلة، ذات أهـداف متباينـة، تجـذرت بينـها العـداوة، وفقـاً لمصالح أمرائها، من خلال التذابح الذي عصف بهم، وظهور محاور تخدم القوى المعاديـة المتربصة، على حساب أخوة العقيدة، في الوقت الذي توحدت فيه جبهة النصارى، حيث أصبحت أكثر قوة وصلابة، وبخاصة كان على رأسها ملك طموح (الفونسـو السـادس)، استقطب نصارى أسبانيا، وتزعم ما سمي بحرب الاسترداد. ومـن هـذا المنظـور أخـذت المخاوف تسيطر على مشاعر الشعب الأندلسي، وأحيت فيـه كوامـن روح الأخـوة الـتي تربطه بجيرانه المغاربة، وقبل أن يدفع الثمـن باهظـاً، كمحصلـة للعلاقـات العدائيـة بـين أقاليمه، كان ثمة تسويغاً، لاستدعاء المرابطين يفرض وجوده.

ويبدو أن ظهور هؤلاء كان متوازيـاً مـع انكفـاء دول الطوائـف، كمـا كـان تـألق نصارى الشمال الأسباني متوافقاً مع أفوال قـوة الأندلسـيين، وتـهاوي مركزيـة الدولـة، وجاء قيام دولة المرابطين يشكل عبر هذا المفهوم صدمة للنصارى عامة وللبابوية خاصـة، حيث ازدادت من هواجسهم سياسة المرابطين التوسعية، فقد لجأ ابن تاشفين إلى احتـلال

طنجة وسبتة، واتخذها محطات استراتيجية عبرها خاض البحر إلى الأندلس، فتحقق ظن النصارى مع معركة الزلاقة الحاسمة.

لم يشأ المرابطون الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه أسلافهم، أمراء الطوائف، فنحوا بسياستهم خطاً جديداً، بعد أن فرغوا من تصفية هؤلاء، حققوا من خلاله التفاف الشعب الأندلسي من حولهم، وترسبت معطيات أخرى أسهمت في تسليس أمرهم للمرابطين، أولاها، رفع المظالم والضرائب من مكوس وجزية وغيرها عنهم، وثانيها، توجيههم نحو الجهاد والمرابطة الدائمة على الثغور الحدودية في الشمال. وثالثها، انتقال مركز الثقل السياسي والاقتصادي والثقافي إلى مراكش، وأصبحت الأندلس ولاية تابعة، يغادرها العلماء والمثقفون والشعراء إلى العاصمة لينالوا الحظوة هناك.

وعلى الرغم من انتصارات المرابطين المظفرة، فقد تبيّن بوضوح إخفاق سياسة المجابهة التي بدأت مع ابن تاشفين، وبلغت ذروتها عبر معارك إقليج وإفراغه، فضلاً عن الزلاقة، أخذت تتهاوى في منتصف الطريق، زمن علي بن يوسف، مع ظهور الثورات المحلية، التي تحالفت مرحلياً بقصد أو غيره مع الموحدين، على إنهاء حكم المرابطين. ومع ذلك تبدو لنا الحياة الثقافية تواصل مسيرتها بهدوء دون التفات للتراجعات العسكرية، فحفلت قصورهم بالكتاب والشعراء، ونبغ في مجالسهم وفرة من المحدثين والفقهاء، وأشهر العلماء في العصور الوسيطة، تركت بصماتها تزيّن بلاطهم، ومن بعد سارت الأندلس على نهجها السابق أيام الطوائف، واستمرت على هذا المسلك إلى ما بعد الموحدين، حتى تقلصت وتقوقعت في جيب جنوب شبه الجزيرة (مملكة غرناطة) تنتظر دور النزاع، إلى أن طويت هذه الصفحة المشرقة من تاريخ المسلمين في أسبانية، وكان لهم منها قبس دائم لا تزال تستضيء به إلى اليوم.



المصادر والمراجع

المصادر العربية:

١. **ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨/١٢٦٠).**

– الحلة السيراء، ج١، ج٢، طبعة دوزي، حققه حسين مؤنس، مصر، ١٩٦٣، التكملة، طبعة دوزي، أعتاب الكتاب، طبع بمدريد، ١٨٨٧.

٢. **ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (٦٣٠/١٢٣٢).**

– الكامل في التاريخ، تسعة أجزاء، راجعه وعلق عليه نخبة من العلماء، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٣. **ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم القيرواني، (١١١٠/١٦٩٨).**

– المؤنس في ذكر أفريقيا وتونس، تونس، ١٢٨٦.

٤. **ابن أبي زرع: أبو الحسن علي، (ت ٧٢٦/ ١٣٢٦).**

– الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣.

٥. **ابن أبي صاحب الصلاة: عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المكني أبا مروان، (ت ٥٧٨/١١٨٢).**

– المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي النازي، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، ١٩٧٧.

٦. **ابن الأزرق: أبو عبد الله بن الأزرق، (ت ٨٩٦/١٤٩١).**

– بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق، د. علي سامي النشار، منشورات وزارة الأعلام العراقية، ١٩٧٧.

٧. **ابن بسّام: أبو الحسن علي الشنتريني، (ت ٥٤٢/١١٤٧).**

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، القاهرة، ١٩٥٤.

٨. **ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت ٥٧٨/١١٨٢).**

– كتاب الصلة، جزآن، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٩. **ابن جبير: أبو الحسن محمد (ت ١٢١٧/٦١٤).**

- رحلة ابن جبير، القاهرة، ١٩٥٥.

١٠. **ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد القرطبي، (ت ٤٥٦/ ١٠٦٥).**

- الفصل في الملك والأهواء والنحل، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٣١٧هـ. طوق الحمامة، ط١، مصر، ١٩٥٠، رسالة نقط العروس، فصله من مجلة كلية الآداب بالقاهرة.

١١. **ابن حيان: حيان بن خلف، (١٠٣١/٤٢٢).**

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، حققه محمود علي مكي، بيروت، ١٩٧٣.

١٢. **ابن خاقان: الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ١١٤٠/٥٣٥).**

- قلائد العقيان، فاس، ١٣٥٠هـ.

١٣. **ابن الخطيب، الوزير محمد لسان الدين، (١٣٧٤/٧٧٦).**

- الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة، ١٩٥٦، أعمال الأعلام، نشر بروفنسال، الرباط، ١٩٣٦.
- أعمال الأعلام، بيروت، ١٩٥٦.
- رقم الحلل، تونس، ١٩١٦.
- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق مختار العبادي، القاهرة، (لا.ت).
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق، د. محمد كمال شبانة، مراجعة، د. حسن محمود، القاهرة، ١٩٦٦.

١٤. **ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ت (٨٠٨/ ١٤٠٦).**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط١، دي سلان، بالجزائر، ١٨٨١، بيروت، ١٩٥٩.
- مقدمة ابن خلدون، (الجزء الأول) ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

١٥. **ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن إبراهيم، (ت ٦٨١/ ١٢٨٧).**

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تسعة أجزاء، القاهرة، ١٩٤٨.

١٦. **ابن دحية: عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجميل البلشي الأندلسي، (ت ١٢٣٥/٦٣٣).**

- المطرب من أشعار أهل المغرب، القاهرة، ١٩٥٤، دائرة المعارف الإسلامية، العدد التاسع، المجلد العاشر.

١٧.ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم، (ت ٧٥٨/ ١٣٠٨).

- صلة الصلة، نشرة ليفي بروفنسال، الجزائر، ١٩٣٧.

١٨.ابن سعيد: علي بن محمد بن عبد الملك بن سـعيد المغربـي الغرنـاطي الأندلسـي، (ت ٦٧٥/٨ ١٢٨٨).

- المغرب في حلي المغرب، جزآن، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤، ١٩٥٣.

- القدح المعلي في التاريخ المحلين تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط٢، بيروت، ١٩٨٠.

١٩.ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩/ ١٣٧٨).

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، سلسلة الروائع اللبنانية، تحقيق فـؤاد افرام البستاني، (لا. ت).

٢٠.ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. (ت ٢٥٧/٨٧١).

- فتوح أفريقية والأندلس، حققه، عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٦٤.

٢١.ابن عبد الملك: محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣/١٣٠٤).

- الذيل والتكملة حققه، إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، (لا. ت).

٢٢.ابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بـن حديـر بـن سـالم القرطبي الأندلسي (ت ٣٢٨/ ٩٤٠).

- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، مج ٣، ج٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٠.

٢٣.ابن عذاري: محمد المراكشي، (ت ٦٩٥/ ١٢٩٥).

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لندن (١٩٤٨، ١٩٥١).

- البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، نشر إحسان عباس، بـيروت، ط١، ص ١٩٦٧.

٢٤.ابن الفرضي: عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، (ت ٤٠٣/١٠١٣).

- تاريخ علماء الأندلس، جزآن، نشر كوديرا، مدريد، ١٨٩١.

٢٥.ابن القطان: علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيي بن إبراهيم الكامي الحميري الفاسـي، (ت ٥٢٨/ ١١٣٥).

- نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، تحقيق: ونشر محمود علي مكي، المغرب، ١٩٦٢.

٢٦.ابن القوطية: عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (ت ٣٦٧/ ٩٧٨).

-تاريخ افتتاح الأندلس، أعده للنشر، حابانحوس، ونشره خليان ريبيرا، ١٩٣٦.

-تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٨.

٢٧.ابن الكردبوس: عبد الملك، (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

-كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، ١٩٧١.

٢٨.ابن هشام: عبد الله بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨/٢١٣- ٨٣٣/ ٨٣٦).

- السيرة النبوية، مج ١، دار الكنوز الأدبية، القاهرة، (لا. ت).

٢٩.أبو بكر ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العربي المعـــافري (ت ٥٤٣- ١١٤٩).

- العواصم من القواصم، حققه، محب الدين بن الخطيب، بيروت، ١٩٧٩.

٣٠.أبو الفداء: إسماعيل بن علي عماد الدين، (ت ٧٣٢/ ١٣٣٢).

- المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٣٥١هـ.

- البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧/ ١٠٩٧).

- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، باريس، ١٩١١، نشر دي سلان، وهو مأخوذ من كتاب المسالك والممالك، الجزائر، ١٩١١.

٣١.البلاذري: أحمد بن يحيي بن جابر، (٢٧٩/٨٩٢).

-فتوح البلدان، القاهرة، ١٣١٨، أنساب الأشراف، مخطوط وصور، دار الكتب المصريـة، ١١٠٣، محقق منه ج ١، ٢، الجامعة الأردنية.

٣٢.البيدق: أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت، ٤٨٧/ ١٠٩٧).

- أخبار المهدي ابن تومرت، نشر ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨.

-حاجي خليفة: مصطفى، (١٠٦٧/ ١٦٥٧).

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة لوزان، ١٨٥٨.

٣٣.الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، (٤٨٨/١٠٩٦).

-جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

-جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، ١٩٥٢.

٣٤.الحميري: أبو عبد الله بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠/١٤٩٥).

-الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.

-الروض المعطار في خبر الأقطار، صفة جزيرة الأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧.

٣٥.الخشني: محمد بن الحارث بن أسد، (ت ٣٦١/ ٩٧٣).

-تاريخ حضارة قرطبة، نشر مع ترجمة أسبانية، الريبرا، مدريد، ١٩١٤.

٣٦.الزركشي: محمد بن إبراهيم (القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).

-تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، ١٢٩٩هـ.

٣٧.الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠/ ٩٢٢).

-تاريخ الرسل والملوك، حققه، محمود أبو الفضل إبراهيم، (لا. ت).

٣٨.الأمير عبد الله بن بلقين: الأمير عبد الله آخر أمراء بني زيري بغرناطة. (ت؟).

- التبيان، نشر وتحقيق، ليفي بروفنسال، (لا.ت).

٣٩.الغزالي: أبو حامد، (٥٠٥/١١١١).

-أحياء علوم الدين، نشر جولد تسهير، ١٩٦٦.

٤٠.القرطبي: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، (ت ٤٦٣/ ١١٢٨).

-كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق الموريتاني، نشر مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٩٧٨.

٤١.الكتبي: محمد بن شاكر الدمشقي، (ت ٧٦٢/١٣٦٣).

-فوات الوفيات، حققه، إحسان عباس، القاهرة، ١٨٨٣.

-عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامرائي، نبيلة عبد المنعم داوود، وزارة الأعلام العراقية، ١٩٧٧.

٤٢.المراكشي: محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت ٦٦٩/١٢٧١).

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، ومحمد العربي التميمي، ط٧، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٠، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبعة دوزي، ليدن، ١٨٨١، القاهرة، ١٩٤٩.

٤٣.**المقرّي: أحمد بن محمد التلمساني، (ت ١٠٤١/ ١٦٣٣).**

-نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد ط١، بولاق، القاهرة، ١٢٧٩هـ.

٤٤.**المقدسي: شمس الدين أبو عبيد الله (٣٨٧/ ٩٩٧).**

-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ١٩٠٠.

٤٥.**المكناسي: محمد بن عثمان (ت؟).**

-الأكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، ١٩٦٥.

٤٦.**مؤلف مجهول: (؟).**

-أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق، لا فونتي الكونترا، ط١، في مدينة مجريط بمطبع ربدنير، ١٨٦٧.

-أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها - رحمهم الله- والحروب الواقعة بها بينهم. تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، ١٩٨١.

٤٧.**مؤلف مجهول: (؟).**

-مفاخر البربر، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤.

٤٨.**مؤلف مجهول: (؟).**

-ذكر بلاد الأندلس، مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم (٨٥)، (لا. ت).

٤٩.**مؤلف مجهول: (القرن الثامن الهجري).**

-الحلل الموشية، نشر علوش، الرباط، ١٩٣٦. الحلل الموشية، حققه، سهيل زكار، عبد القادر رمانة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

٥٠.**مؤلف مجهولة: (ت ؟).**

-الاستبصار في عجائب الأقطار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨.

٥١.**الناصري: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، (ت ١٣١٥/ ١٨٩٧).**

-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، ٤ مج، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

٥٢.**النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (٧٣٣/ ١٣٣٢).**

-نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية، الخاص بالمغرب والأندلس، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١٩-٢١، القاهرة، ١٩٧٥.

٥٣.**الهرغي: إبراهيم بن موسى بن أحمد، (ت ٧١٤/ ١٣١٥).**
-كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، نشر ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٢٨.
-ياقوت: شهاب الدين الرومي، (٦٢٦/ ١٢٢٩).
-معجم البلدان، القاهرة (١٩٠٦)، بيروت (١٩٥٥).
٥٤.**اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر (٢٨٤/ ٩٨٧).**
-معجم البلدان، نشر دي خوية، ليدن، ١٨٩١، القاهرة، ١٩١١.

المراجع العربية:

-بدر: أحمد.
- الأندلس وحضارتها، ج١، (لا. ت).
٥٥.**بن عبد الله: عبد العزيز.**
-مظاهر الحضارة العربية، الدار البيضاء، ١٩٥٧.
٥٦.**بيضون: إبراهيم.**
-الدولة العربية في أسبانية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠.
٥٧.**التواتي: عبد الكريم.**
-مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، نشر وتوزيع مكتبة الدار البيضاء، (لا. ت).
٥٨.**جنون: عبد الله.**
-الينبوغ المغربي، تطوان، ١٩٥٥.
٥٩.**جودة: علي محمد.**
-تاريخ الأندلس، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧.
٦٠.**حتاملة: محمد عبده.**
-محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة، ط١، عمان، ١٩٧٧.
-التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين، ط١، عمان، ١٩٨٠.
-التهجير القسري لمسلمي الأندلس، ط١، عمان، ١٩٨٢.
٦١.**حتي: فيليب.**
-تاريخ العرب، مطول، ج٣، ط٢، بيروت، ١٩٤٩.

٦٢.**حوق: أسعد.**
- محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (لا.ت).
- الحجي: عبد الرحمن علي، التاريخ الإسلامي، نشر جامعة بغداد، ط١، ١٩٧٦.
- التاريخ الأندلسي، نشر جامعة بغداد، ط١، ١٩٧٦.

٦٣.**خالص: صلاح.**
- أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، (لا. ت).

٦٤.**ديوز: محمد علي.**
- المغرب الكبير، القاهرة، ١٩٦٣.

٦٥.**سالم: عبد العزيز، رشيد الناضوري، جلال يحيي.**
- المغرب الكبير، العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦.
- المساجد والقصور، سلسلة اقرأ رقم ١٩٠، القاهرة، ١٩٦٨.
- تاريخ مدينة المرية، ط١، بيروت، ١٩٦٩.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢.

٦٦.**السعيد: محمد مجيد السعيد.**
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠.

٦٧.**السامرائي: خليل إبراهيم صالح السامرائي.**
- الثغر الأعلى الأندلسي، مطبعة أسعد، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

٦٨.**شلبي: أحمد شلبي.**
- كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (لا. ت).
- تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٥٤.

٦٩.**الشعراوي: أحمد إبراهيم.**
- الأمويون أمراء الأندلس الأول، القاهرة: ١٩٦٩، هشام الرضا، القاهرة، (لا. ت).

٧٠.**العبادي: أحمد مختار.**
- في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (لا. ت).
- صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس.
- مجلة البيئة، الرباط، ١٩٦٢- ١٩٦٣.

-سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس.
-صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج ٥، مدريد، ١٩٥٧.
-الصقالبة في أسبانيا، مدريد، ١٩٥٣.
٧١.العبادي: عبد الحميد.
-المجمل في تاريخ الأندلس، القاهرة، ١٩٥٨.
٧٢.عاشور: سعيد عبد الفتاح.
-محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي، كريدية أخوان، بيروت، ١٩٧٥.
٧٣.علام: عبد الله علي.
-الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة، ١٩٦٤.
٧٤.عنان: محمد عبد الله.
-دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط٤، شركة مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩.
-دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى نهاية غرناطة، ط٢، القاهرة، ١٣٧٤/ ١٩٥٥.
-نهاية الأندلس، ط٢، القاهرة، ١٣٧٨/ ١٩٥٨.
-عهد الفتنة الكبرى حتى نهاية عبد الرحمن الناصر، ط١، القاهرة، ١٣٧١/ ١٩٥٢.
-مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٤، القاهرة، ١٣٨٢/١٩٦٢.
-عصر المرابطين والموحدين في المغرب، ج ١، ٢، القاهرة، ١٩٦٤.
٧٥.عباس: إحسان عباس.
-تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢.
٧٦.عتيق: عبد العزيز عتيق.
-الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥.
٧٧.علي: محمد كرد.
-غابر الأندلس وحاضرها، المكتبة الأهلية، (لا. ت).
٧٨.الفاسي: محمد بن أحمد.
-المورد المهني، (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط).
٧٩.مؤنس: حبيب.
-فتح العرب للمغرب، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٨.

-فجر الأندلس، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

٨٠.محمود: حسن.

-قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧.

٨١.ماجد: عبد المنعم.

-الأطلس التاريخي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٦٠.

٨٢.محمد: يوسف نجم.

-كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة.

-مجلة الأبحاث، ج١، السنة ١٤، آذار، ١٩٦١.

٨٣.هيكل: أحمد.

-فتح العرب للمغرب، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢.

٨٤.زنيبر: محمد.

-تاريخ العصر الوسيط، نشر وطبع دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (لا. ت).

٨٥.اليوسف: عبد العزيز.

-العصور الوسطى الأوروبية، بيروت، ١٩٦٧.

المجـــلات:

١. جمال الدين: محسن، الحميدي.

-مجلة كلية الآداب، العدد العاشر، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٧.

-حملة الثقافة العراقية. مجلة كلية الآداب، العدد الحادي عشر، مطبعة الحكومـــة، بغـداد، ١٩٦٨.

٢. الحجي: عبد الرحمن.

-سفارتان مجهولتان من الفرنج إلى بلاد قرطبة.

-مجلة كلية الآداب، العدد العاشر، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٧.

المراجع المترجمة:

١. أشباح: يوسف، (القرن التاسع عشر الميلادي).

-تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عنان، ج١،٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠، ١٩٥٨.

٢. بروفنسال: المستشرق ليفي.

-الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، ١٩٥٨.

-الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الأسبانية، تطوان، ١٩٥١.

٣. جب: سير هاملتون جب.

-علم التاريخ، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط١، بيروت، ١٩٨١.

٤. دوزي: رينهارت دوزي، (١٣٨٢/١٨٨٤).

-تاريخ مسلمي أسبانية، ج١، ترجمة حسن حبشي وآخرون، القاهرة، ١٩٦٣.

٥. ديلاسي: اوليري.

-الفكر العربي والكتابة في التاريخ، ترجمة تمام حسان، وراجعه محمد مصطفى حلمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١.

٦. روم: لاندو.

-الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٢.

-سيديو: العلامة ل.أ. سيديو.

-تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، ط٣، القاهرة، ١٩٥٦.

٧. فشر: هـ.أ.ل.

-تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة الباز العريني، القاهرة، ١٩٦٦.

٨. لوبون: غستاف.

-حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٦.

٩. لودر: دروثي لودر.

- أسبانيا شعبها وأرضها، تر طارق فوده، القاهرة، ١٩٦٥.

١٠. لومبار: موريس.

- الإسلام في فجر عظمته، ترجمة حسين العودات، مراجعة علي الخش، (لا.ت).

١١. ميراندا: أمير سيواوتي.

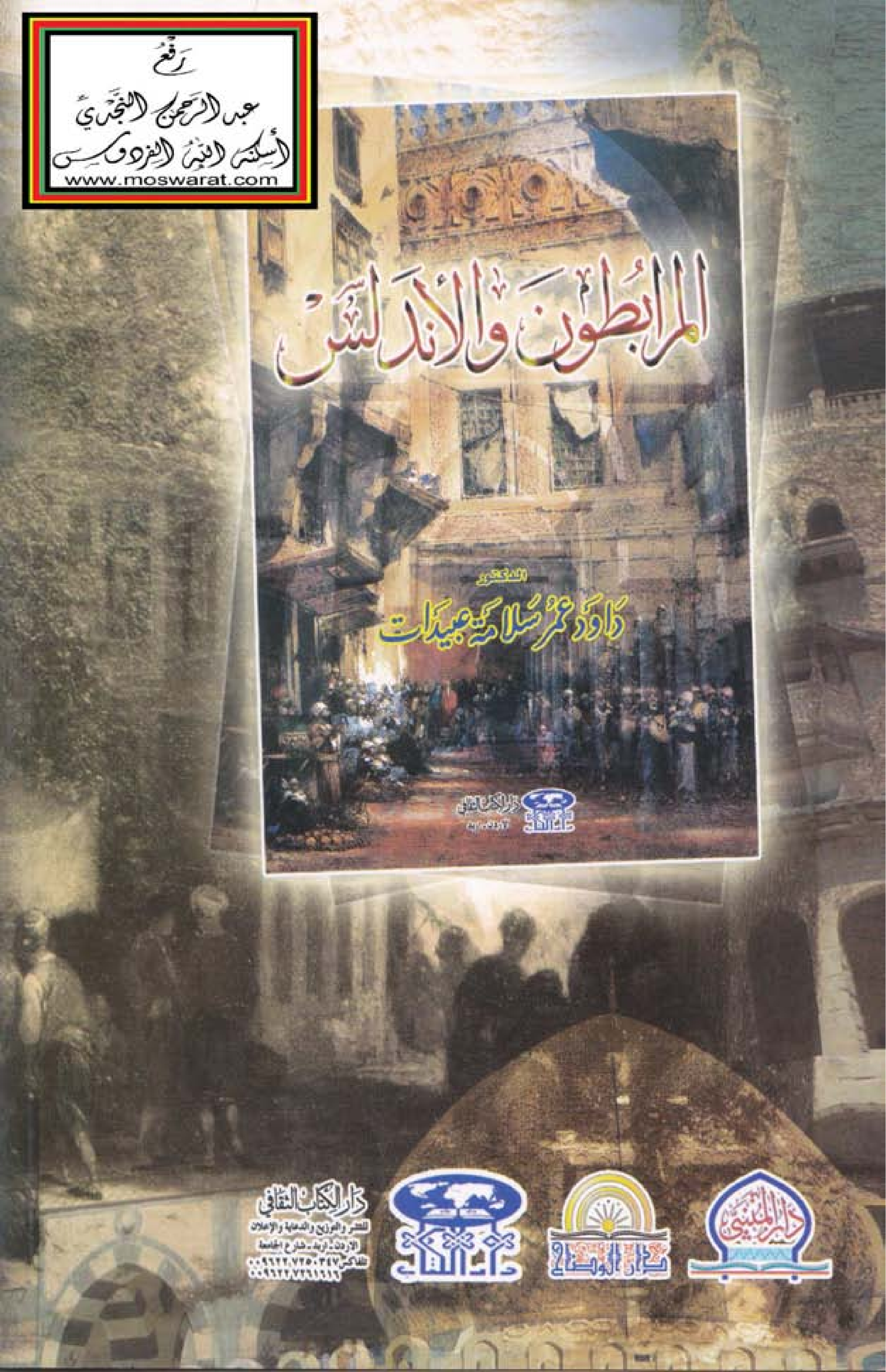
- التاريخ السياسي لدولة الموحدين، نشر الأستاذ محمد بن ثاويت، وإبراهيم الكناني، تطوان، ١٩٦١.

١٢. ويد غرى: البان ويد غرى.

- التاريخ وكيف يفسرونه، تر، عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٧٢.

المراجع الإنجليزية:

1. Bury, : JB. **The Cambridge Medieval.** History Vol. 2, "Cambridge, 1967".
2. Brockelmann: Carl. **History of the Islamic Peoples**, translated By Joel Carmichael and Moshe Perlmann Routlege & Regan Paul, London & Henley.
3. Conde: J-A. **History of the Dominion of the Arab in Spain.** Vol. 1(London, 1899).
4. Chejine: Anwar. **Moslem Spain, Jbs. History and Culture**, The University of Minnesota Press Minneq Polis 1973.
5. Dozy: and Stokes, E. **Spanish Islam**, (London, 1913) **History of the Moslems in Spain**.
6. Hoyt: Robart. **Europe in the Misddle Ages**, (London, 1957).
7. Lanepoole: Stanley. **The moors in Spain**, London, 1897.
8. Lewis: Bernard. **Islam in History**, (London, 1978).
9. Livermore: Harald, **A History of Spain**, (London, 1960).
10. Norman: Daniel. **The Arabs and Mediaeal Europe**, London and New York, Librairie du Liban.
11. Smith: Rhea Marsh. **Spain A Modern History**, (Michigan, 1965).
12. Trend: J. Brande, **The Civilization of Spain**, (London, 1967).
13. W. Lonax: Derek. **The Reconguest of Spain**, (London & New York).


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
المرابطون والأندلس
الدكتور
داود عمر سلامة عبيدات
دار الكتاب الثقافي